

زاوية الرؤية

الحلقة الأولى

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

لماذا علينا أن نبحث عن "وجهة النظر الصائبة"؟ الجزء الأعظم من سعادتنا أو شقائنا يعود الى نمط رؤيتنا/ نظرتنا الإيجابية أو السلبية تتوقف على وجهة نظرنا

أن نعيش بأمل أو بيأس فهذا يعود الى نوعية رؤيتنا. فقد يُصاب شخص بالقنوط الشديد بمشاهدة ظاهرة ما، بينما قد يغمر شخصاً آخر أملٌ عارم بمشاهدة نفس الظاهرة، وهذا الأمر يعود الى نمط الرؤية وزاوية النظر عند الأشخاص.

يعود الجزء الأعظم من سعادتنا أو شقائنا الى أسلوبنا في الرؤية/ "البصيرة" تعني الرؤية الصائبة للأمور

«البصيرة» هي إحدى المفاهيم العالية القيمة والاستراتيجية في القرآن. فالله تعالى يعبّر عن القرآن الكريم بتعبير «البصائر»: «هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ» (الجاثية/٢٠). ويقول تعالى في آية أخرى: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها» (الأنعام/ ١٠٤). فالقرآن بصائر نزل من جانب الله عزّ وجل. والبصائر هي مجموع الرؤى التي بوسع المرء أن ينظر بها. والبصيرة تعني الرؤية الصائبة للأمور. فقول الله سبحانه وتعالى إن «القرآن بصائر» يعني أن القرآن يربي الإنسان بحيث يستطيع أن ينظر نظرة صائبة الى الأمور أو الظواهر. يميّز القرآن الكريم بين «النظر» و«الرؤية» ، فحين يريد أن يتحدث عن النظر بالعين لا يستخدم مفردة البصيرة، بل يستخدم كلمة أخرى كفعلِ «ينظر». يتوقف الجزء الأعظم من سعادتنا أو شقائنا على نمط رؤيتنا. كما أن قدرة التحليل لدينا ترتبط بأسلوب رؤيتنا للظواهر. التعمّق وتحديد المهام واتّخاذ المواقف تجاه جميع القضايا يتوقف هو الآخر على طبيعة رؤيتنا.

زاوية رؤيتنا هي التي تحدد النظرة الإيجابية أو السلبية والشعور بالأمل أو اليأس لدينا

شعورنا بالسرور والحزن أيضاً تابع لأسلوبنا في النظر إلى جميع الظواهر. رؤيتنا الإيجابية أو السلبية (التشاؤمية) وشعورنا بالأمل أو اليأس كلها تعود الى نوعية رؤيتنا. فقد يصاب شخص بالقنوط الشديد بمشاهدة ظاهرة ما، بينما قد يغمر شخصاً آخر أملٌ عارم بمشاهدة نفس الظاهرة. وهذا يعود الى نظرة الأشخاص وزاوية رؤيتهم. على سبيل المثال، من الممكن أن ننظر الى ظاهرة داعش باعتبارها ظاهرة «مشؤومة» على الإطلاق، بينما نستطيع أن ننظر إليها من وجهة تماثل الوجهة التي نظر منها سماحة الإمام الخميني(ره)، فسبب أن سماحته كان يرى الحرب المفروضة من ألطاف الله الخفيّة هو أنه كان ينظر إلى هذه القضية من زاوية أخرى. كما أننا لو نظرنا إلى أعداء الثورة بنظرة سلبية سنقول «إنهم يتمتعون بذكاء حاد ويعملون بدقّة عالية»، بينما يرى أولياء الله أنه سبحانه قد «جعل أعداءنا من الحمقى»! أما النظرة الصائبة بالنسبة لأنفسنا فهي أننا في طور التقدّم وسيكون مستقبلنا مشرقاً أكثر بكثير من يومنا هذا، تماماً كيومنا الذي هو أفضل بكثير من أمسنا.

إن رؤيتنا لا تتكون من المعلومات فحسب، بل إنها تعبّر عن حالنا الباطنية أيضاً

نريد أن نتحدث في هذه المحاضرات عن مفهوم يدعى «زاوية الرؤية». فحياتنا متأثرة برؤيتنا أكثر من تأثرها بمعلوماتنا، بل إن الحقائق المحيطة بنا أيضاً أقل تأثيراً على حياتنا من رؤيتنا! فرؤيتنا قادرة على تغيير معلوماتنا، بل وخلق المعلومات أيضاً. بل هي قادرة حتى على خلق الحقائق المحيطة بنا. هذه الرؤية لا تصدر عن المعلومات فقط، بل هي تعكس حالنا الباطنية أيضاً، وتعبّر عن مستوى عقلنا وقدرتنا على التحليل والنقد كذلك. وقد ورد في بعض الأدعية حول زاوية الرؤية: «اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَائِقَ كَمَا هِيَ» (عوالي اللآلئ / ج٤/ ص١٣٢) أي اجعلني يا ربّ في موقف أتمكن من خلاله رؤية جميع القضايا بنظرة صائبة.

سبب الكثير من النزاعات بين الأزواج يعود الى جهلهم بوجهة نظر الآخر

لا يمكن أن نتجاهل «زاوية الرؤية» في أيٍّ من القضايا الأخلاقية والعرفانية والحياة الشخصية والعائلية وأمثالها. في العادة لا تعرف الزوجات وجهة نظر الأزواج، كما أن الأزواج أيضاً يجهلون وجهة نظر زوجاتهم وهذا هو السبب الكامن وراء الكثير من الشجارات العائلية! فالزوجة لا تعلم الزاوية التي ينظر زوجها من خلالها الى القضايا، والأخير لا يعلم الزاوية التي تنظر زوجته من خلالها. فلا بد أن يُكثر الناس من الحوار فيما بينهم كي تتقارب وجهات نظرهم. قد يذهب بعض الرجال إذا شاهدوا خفّة حجاب من سيدة إلى عَدّها فاسدة. أو قد يحاولون دعوتها إلى الالتزام بالحجاب عبر وجهة نظرهم الخاصة ولذلك سيكون منطقهم مرفوضاً عندها، بل لربما يؤدي ذلك إلى سوء تفاهم وبالنتيجة إلى تحلّلها من الحجاب أكثر !

لا بد في غالب الأحيان أن نبحث عن نظرة متميزة / الفنّان قبل أن يتفنّن في تصوير الأشياء، يتفنّن في "اختيار زاوية الرؤية المميزة"

ينظر الناس إلى القضايا بأشكال مختلفة كلٌّ بحسب زاوية الرؤية الخاصة به؛ على سبيل المثال، إن تنظر الى الحياة الدنيوية من منظار القيامة وعالم الآخرة، فسترى الدنيا بشكل آخر ومميّز، وإن تنظر الى العالم من منظار الله سبحانه وتعالى، فسيبدو كل شيء مختلفاً تماماً. فإنه اعتماداً على الزاوية التي تنظر منها إلى الظواهر تبرز الفروق. إن كون الفيلسوف فيلسوفاً وكون العارف عارفاً يعود الى نوعية رؤيتهما. الفنان قبل أن يتفنّن في التصوير والرسم ، يتفنّن في «اختيار زاوية الرؤية المميّزة». فزاوية الرؤية هي موضوعنا الأول في العلم والمعرفة، والفكر والتحليل، وكذلك في وصف الظواهر ونقدها وتبيينها بلغة العلم أو الشعر أو الفن. وإن بيت الشاعر الإيراني «سهراب سِبهري» القائل: «لابد من غسل العيون، لابد من النظر بمنظار آخر» والذي يعتبر من روائع الأدب الفارسي فيه إشارة إلى زاوية الرؤية.

ينبغـي في غالـب الأحيـان أن نبحـث عـن رؤيـة مميـزة، فكيـف يـا تـرى يتحقّـق ذلـك؟ الجـواب هـو أن نحـاول النظـر الى الظواهـر مـن جهـات وزوايـا متعـددة؛ كأن ننظـر إلى قامتنـا مـرة مـن منظـار النمـل ومـرة أخـرى مـن منظـار الطيـور المحلِّقـة في السـماء! عظيـم جـداً أن ينظـر الإنسـان إلى نفسـه مـن زوايـا مختلفـة ليصـل أخـيراً إلى وجهـة النظـر الصائبـة التـي يعـبّر عنهـا القـرآن الكريـم بـ»البصـيرة».

راقب زاوية رؤيتك! / عناوين الصحف لا تعكس الواقع، بل تعكس زاوية الرؤية

لا بـد أن يعلـم النـاس ولاسـيما الشـباب، ولـكي لا ينخدعـوا بالجرائـد ووسـائل الإعـلام، أن عناويـن الصحـف لا تعكـس الواقـع بـل تعكـس زاويـة الرؤيـة. فالصحيفـة بالأسـاس ليسـت وسـيلة لنقـل المعرفة إلى المخاطـب، بـل هـي وسـيلة لنقـل وجهـة النظـر إليـه، فهـي تقـول لـك :»انظـر بهـذه الرؤيـة!» والعناويـن تريـد أن تنقـل وجهـة نظـر خاصـة الى المخاطـب. ينبغـي عـلى المـرء أن يراقـب زاويـة رؤيتـه وأن يتوخّـى الحـذر والدقّـة بالنسـبة لهـا، فـلا يعـاشر أي شـخص مثـلاً. وإن تفـوّه أي شـخص بـأي كلام، فقـل لنفسـك: «إنـه عـادةً مـا ينظـر الى القضايـا مـن هـذه الزاويـة، عـليّ أن أكـون حـذراً!» هـذا يعنـي أن تمـرّر كلامـه مـن مصفـاة وجهـة نظـرك، الصائبـة إن شـاء اللـه. وإذا أردت الحصـول عـلى معلومـات مـن أحـد حـول حقيقـة أو حادثـة مـا، فتأكـد مـن صحّـة الزاويـة التـي ينظـر منهـا. فـإن كان ينظـر مـن زاويـة خاطئـة فإنـه سـيحوّر الخـبر المتصـل بالحادثـة وربمـا يضخّـم الموضـوع أو يقلّـل مـن شـأنه. والسـبب في تحـوّل بعـض مـوالي الثـورة بعـد فـترة مـن الزمـن إلى اللامبـالاة بهـا، بـل ومعاداتهـا يعـود إلى نمـط رؤيتهـم ووجهـة نظرهـم الخاطئـة. فـأَنْ يصبـح المـرء ثوريـاً بنـاءً عـلى زاويـة رؤيـة صائبـة فهـذا أمـر جيـد جـداً، أمـا إذا كان ينظـر إلى العديـد مـن القضايـا مـن زاويـة غـير صحيحـة، فإنـه سـيترجّل مـن قطـار الثـورة عاجـلاً أو آجـلاً، حتـى إن كان اليـوم – حسـب الظاهـر - مـن غُـلاة الثوريـين.

لا بد أن نعمل في المناهج التربوية والتعليمية وبشكل مكثف على تصحيح زاوية نظر التلاميذ

يمارس الاستكبار العالمي الدعاية والعمل على «فرض زاوية الرؤية» على الأشخاص باحتراف تام. فالأفلام - بغضّ النظر عن مواضيعها - تنقل إليك وجهة نظرها بهدوء وصمت، وتفرض عليك أن «انظر بهذه الطريقة!» لا بد أن نجتهد في مناهج التربية والتعليم في العمل على تصحيح زاوية الرؤية. على سبيل المثال ليقوم التلاميذ أثناء الدرس بوصف مشهدٍ ما من زوايا مختلفة، (لا أن يكتب كل واحد منهم إنشاء ويأتي به)، وذلك ليتعرف التلاميذ على وجهات النظر المختلفة ويكبروا عبر هذا الأسلوب. حين يحبّ المرء شخصاً ويستأنس به سيرغب في معرفة وجهة نظره بالنسبة للقضايا المختلفة. فالبعض مثلاً يودّ معرفة وجهة نظر ممثّله المحبوب تجاه موضوع خاص ويتابع أمثال هذه الأخبار في وسائل الإعلام.

إحدى فوائد الأنس بأولياء الله هي إدراك زاوية نظرهم للأمور

إن إحدى فوائد الأنس بأولياء الله وأهل المعرفة هي إدراك وجهة نظرهم لأنهم لم يكتسبوا هذه النظرة الصائبة إلا بعد عمر من المجاهدة والتقشّف. انظروا إلى الزاوية التي ينظر من خلالها الإمام الحسين(ع) في دعاء عرفة إلى الخِلقة وإلى ظواهر العالم . فحرِيّ بكم أن تقضوا أعماركم في التفتيش عن وجهة نظر أولياء الله، إنها تسلية ممتعة وجذابة جدا! إن موضوع زاوية الرؤية هام للغاية في مجال الرثاء أيضاً، فالراثي يزوّدك بزاوية للرؤية ويقول لك: انظر من هذه الزاوية. وحين تنظر من تلك الزاوية، ستبكي وستشعر باللّذة المعنوية. إذ من الممكن مشاهدة واقعة كربلاء من زاوية خاطئة وتدمير روعتها وبهائها عند المخاطب دون التفوّه حتى بكذبة واحدة! ما زال هناك مجال لعرض صور جديدة من كربلاء وعاشوراء، وإن خلق هذه الصور البديعة يعتمد على الزاوية التي ننظر من خلالها إلى هذه الحادثة.



زاوية الرؤية

الحلقة الثانية

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

العنصر الاستراتيجي في كل عملية إيصال فكرة هو "الرؤية" / تغيير رؤية البشر هي إحدى مهام إبليس المهمة / الله سبحانه وتعالى في القرآن ينقل وجهة نظره إلينا / رؤية الفنان المتميزة للظواهر والأحداث هي لب فنّه

لا بد أن نتحمّل أحياناً الكثير من الآلام والمصاعب لتصحيح رؤيتنا إذا ما فسدَت! وقد يريد الله أن يقول لعبده "إن مشكلتك الفلانية ليست كبيرة"، لكن العبد لا يقبل بذلك ويصرّ على أنها كبيرة جداً! فيُوقِعه الله بمشكلة كبيرة ليدرك معنى المشكلة الكبيرة! فلعلّك لا تدرك أن رؤيتك كانت خاطئة ولا بد من تصحيحها إلا عبر بلاء عسير .

يتوقف جزء من لذة إدراك الحقائق على زاوية رؤيتنا

لا قيمة للمعرفة دون زاوية رؤية صائبة. حتى القرآن الكريم هو «بَصائِرُ لِلنَّاسِ» فهو يحدّد وجهة النظر الصائبة. وإن جزءاً من لذة الإنسان الناجمة عن إدراك الحقائق يتوقف على زاويته في الرؤية، فنوعية نظرتنا الى الفرح والترح في الحياة والنعم والنقم وأمثالها تتوقف على زاوية رؤيتنا. وإن صحة زاوية الرؤية أمر هام للغاية، لأن هذه الرؤية تترسخ في الذات بمرور الزمن ونعتاد عليها الى درجة ربما نعجز عن تغييرها فيما بعد. كل من الرواية أو الشعر أو الفلم يعرفّك بالزاوية التي ينظر منها. فلا يكفي أن نطّلع على موضوع ذلك الفلم أو الشعر أو تلك الرواية، بل لا بد من معرفة المؤلف أو الناظم أو المنتج وزاوية رؤيته. فالجزء الأول والأعظم من فن أي فنان يكمن في «نمط رؤيته» المميّزة.

النظرة المميّزة للأحداث والظواهر هي لبّ الفن لدى الفنّان

الزاوية التي ينظر الفنّانون من خلالها إلى الأمور هي على قدر عال من الأهمية، فمن هنا يتكون الجمال. فأن يستطيع الفنان أن يعكس رؤيته الى الآخرين أو لا فهذا أمر ثانوي. التقنية والمضمون والعديد من الفاهيم الأخرى ليست حاسمة في تقديم الفن، بل إن «الرؤية المميّزة للأحداث والظواهر» هي التي تعتبر «لُبّ الفن». فالعامل الذي يعطي للفنان قوة في إيصال رؤيته للآخرين هو رؤيته بعينها، فالرؤية الرائعة المميّزة

من زاوية خاصة بإمكانها خلق قدرة عالية على التعبير عن ذلك الموضوع وإيصاله إلى الآخرين. وأحياناً هذه الرؤية نفسها تجعل المرء فناناً!

الله جلّ وعلا في القرآن ينقل نمط رؤيته إلينا / تعالوا ننظر إلى العالم من زاوية رؤية الله!

الشيء الرائع جداً الذي يحدث في القرآن هو أن الله سبحانه يفاتحنا بنمط رؤيته للقضايا المختلفة لكن للأسف يبدو أن هذا الموضوع عديم الأهمية بالنسبة للكثير منا! عادة ما تكون المقابلة مع ممثل معروف أو محبوب من أكثر برامج التلفاز جاذبية، ويودّ الكثير من الناس معرفة وجهة نظره تجاه القضايا المختلفة عبر هذه المقابلة. حسنٌ، لمَ يا ترى يرغبون في معرفة وجهة نظره؟ الجواب هو أنهم استأنسوا به في مواقف ما، هذا كل ما في الأمر! فيقولون له: تحدث بما عندك دونما حرج، فيجلس أمام الكاميرا ويقول مثلاً: «أنا لا أحب مرق اللحم...» إننا نجلس لنشاهد من أي زاوية ينظر المشاهير كالممثّلين وغيرهم، لكننا لا نهتم بالله تعالى إذ يُصرّ في القرآن الكريم على أن يبيّن لنا وجهة نظره! تعالوا كبشر وكباحثين وانظروا لمرّة واحدة وبدافع حب الإستطلاع كيف تكون رؤية الله تجاه الظواهر؟ انظروا الى رؤى الله في القرآن. يبدأ تعالى في القرآن بالإفصاح عن رؤيته، فيعبّر، على سبيل المثال، عن بعض أصحاب العلم والثقافة الذين لا ينتفعون بعلمهم بالقول: «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً» (الجمعة/٥)؛ أي: إنهم أشبه بحمارٍ حَمَّلوه كُتُباً.

تغيير رؤية الناس هي من مهام إبليس الاستراتيجية

وإن إحدى مهام إبليس الاستراتيجية هي تغيير رؤية الناس. فلكونه عاجزاً عن تغيير الحقائق والحوادث المزعجة والمريحة تراه يحاول تغيير رؤيتنا. قال تعالى في القرآن الكريم: «وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» (الأنفال/٤٨) وقال تعالى في آية كريمة أخرى: «لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ» (الحجر/٣٩)، وهذا يعني أن إبليس يقول: أنا أجعل الأمور التافهة ذات قيمة في أعين الناس. «لأُزَيِّنَنَّ» يعني أني أزيّن العمل القبيح ليراه الإنسان جميلاً.

الفضائيات أيضاً تشتغل على نمط رؤية الناس

يريـد اللـه أن يشـتغل عـلى نمـط رؤيتنـا. كـما أن إبليـس أيضـاً يشـتغل عـلى هـذا الصعيـد. والفضائيـات هـي الأخـرى تعمـل في هـذا الاتجـاه، فبعـض القنـوات الفضائيـة مـن قبيـل BBC وVOA تشـتغل عـلى أذهـان النـاس عـبر أفلامهـا وبرامجهـا. بالطبع هـذه الفضائيـات ضعيفة ولذلك فـإن قضيتنـا الأولى والأهم ليسـت عـدم مشـاهدتها، بـل إننا نقول بأنـك إذا تفرّجت هذه البرامج دون أن تعلم أسـلوبها في الاشـتغال عـلى ذهنـك ورؤيتـك، فسـيلحق بـك الأذى جـراء ذلـك. بعبـارة أخـرى، هـذا الموجـود الضعيـف العاجـز العديـم الكفـاءة نفسُـه سـيطرحك أرضـاً. عـلى سـبيل المثال، ذكـرت قنـاة BBC قبل بضع سـنوات في يوم عاشـوراء: «في مثـل هـذا اليـوم يقيـم النـاس العـزاء عـلى أبي الفضـل العبّـاس(ع) «الأخ غير الشـقيق» لأبي عبـد اللـه الحسـين(ع)»! وهـي تعلـم أنـك حـين تسـتخدم مصطلـح «الأخ غـير الشـقيق» في ثقافتنـا فإنك في الحقيقـة تقلّـل مـن أخُـوّة الأخ درجـة ! وفي نفـس الوقـت هـذه حقيقـة أيضـاً، لكـنّ أحـداً طيلـة هذه السـنين لم ينظـر إلى هـذه القضيـة مـن هـذه الزاويـة! هـذه القنـاة تريـد أن تأخـذك خطـوة خطـوة الى مرحلـة تحـطّ فيهـا مـن جـلال وروعـة رؤيتـك الى حقائـق العـالم الجميلـة وتلهمـك زاويـة رؤيـة خاطئـة.

العنصر الاستراتيجي في كل عملية إيصال فكرة هو "الرؤية"

العنـصر الاسـتراتيجي في كل عمليـة إيصـال فكـرة هـو «الرؤيـة» . لنسـأل اللـه تعـالى أن يحفـظ رؤيتنـا مـن الانحـراف وأن يجعـل لنـا أشـخاصاً يصحّحونهـا. هنـاك ميـزة يتميـز بهـا أبـو الفضـل العبّـاس(ع) فيـما يتصـل بالرؤيـة الصائبـة، وهـو قـول أئمـة الهـدى(ع) فيـه: «كانَ عَمُّنَـا العَبَّـاسُ بـنُ عَـلِيٍّ نَافِـذَ البَصيـرَةِ» (مقتـل الحسـين لأبي مخنـف/ ص١٧٦)، أي إن رؤيتـه كانـت صائبـة جـداً. كانـت بصـيرة أبي الفضـل العبـاس عـلى درجـة عاليـة بحيـث يغبطـه جميـعُ شـهداء كربـلاء عـلى مقامـه.

تغيير الرؤية ربما يكون مؤشّراً لنضج الإنسان

تغيير الرؤية ربما يكون مؤشّراً لنضج الإنسان. فربما تقول يوماً ما: «برأيي يجب أن تتصف زوجتي بهذه المواصفات...فهذه الصفات هامة جداً بالنسبة لي» لكن بعد مضي فترة من الزمن تعود لتقول: «إنها مواصفات جيدة بالطبع، لكن اليوم هناك أمور أخرى أهم برأيي. ليتني نظرتُ نظرة صحيحة منذ البداية!» يهتم البعض كثيراً بنظرة الناس إليهم، وينبغي على هؤلاء أن يحاولوا تغيير رؤيتهم. فليفكّروا في هذا الموضوع مثلاً: «إلى متى ستهمّهم نظرة الناس؟» كم سنة نعيش؟ سبعين عاماً أو مئة عام! لا بد أن يصل الإنسان الى هذه الرؤية وهي أن العمر الذي يدوم مئة سنة قصير للغاية وأن يتقبل حقاً مقولة: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا» (مجموعة ورام/ج١/ص١٥٠). سُئل النبي نوح(ع): ما هي رؤيتك بالنسبة لعمرك الذي قضيته؟ فأجاب أنه كان كغرفة ببابين، دخلتُ من باب وخرجتُ من باب آخر! فما هي نظرتنا الآن للعمر؟ إننا إن لم ننظر إليه على أنه «قصير فعلاً» فإن رؤيتنا خاطئة دون شك. ما أكثر حاجتنا إلى الفن لتغيير زاوية رؤيتنا واكتسابنا نظرة صائبة! إن القرآن كتابٌ صيغَ بأسلوب فَنّي فائق، فهو كتاب بصيرة ويريد أن يعلمنا الرؤية الصائبة. قال أمير المؤمنين(ع): «مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَلا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَلا كُلُّ ذِي نَاظِرِ عَيْنٍ بِبَصِيرٍ» (الكافي/ج٨/ص٦٤) ويقول (ع) في مكان آخر: «فَقْدُ الْبَصَرِ أَهْوَنُ مِنْ فَقْدِ الْبَصِيرَة» (عيون‌الحكم/ ص٣٥٨).

لابد أن نفوض أمرنا الى الله لضبط زاوية رؤيتنا

من أجل ضبط زاوية رؤيتنا لا بد أن نفوّض أمرنا الى الله كل تفويض وأن نتقرب من صاحب الزمان(ع) كل تقرّب. وأن نسلّم أبصارنا لأهل البيت(ع)، ولصاحب الزمان(ع) ونقول: يا بن الحسن(ع)، أرِنا الأمور كما تراها أنت! أعلن شخص للإمام الباقر(ع) أنه لو يعطوني الدنيا بما فيها لن أتنازل عن محبّتكم. فبان الغضب على الإمام(ع) أنْ: لِمَ تقيس محبتنا بالدنيا؟ وما قيمة الدنيا مقابل مودّتنا التي ألقاها الله في قلبك؟! إنك ستفوز بالنعيم الأبدي وجنّة رضوان الله جزاءً على هذه المودة فهل تعلم عظمة هذه النعم؟

في الحقيقـة أراد الإمـام(ع) إصـلاح رؤيـة ذلـك الشـخص. «قَـالَ لَـهُ يُونُـسُ لَـوِلَائِي لَكُـمْ وَمَـا عَرَّفَنِـي اللهُ مِـنْ حَقِّكُـمْ أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنَ الدُّنْيَـا بِحَذَافِيرِهَـا قَـالَ يُونُـسُ فَتَبَيَّنْـتُ الْغَضَـبَ فِيـهِ ثُـمَّ قَـالَ(ع) يَـا يُونُـسُ قِسْـتَنَا بِغَيْـرِ قِيَـاسٍ مَـا الدُّنْيَـا وَمَـا فِيهَـا هَـلْ هِـيَ إِلَّا سَـدُّ فَـوْرَةٍ أَوْ سَـتْرُ عَـوْرَةٍ وَأَنْـتَ لَـكَ بِمَحَبَّتِنَـا الْحَيَـاةُ الدَّائِمَـةُ» (تحف‌العقـول/ص٣٨٠).

ينبغي علينا مجالسة العلماء وأصحاب الرؤى الصائبة

لقـد أوصونـا بلـزوم التعلّـم مـن العلـماء، فـأن يتعلـم المـرء مـن معلّمـه وأسـتاذه العلـومَ أمـرٌ جيـد جـداً، بيـد أن مجالسـة العلـماء أيضـا أمـر ضروري بالنسـبة لنـا إلى درجـة أن اللـه يعاقـب الإنسـان الـذي لا يعـاشر العلـماء! وقـد جـاء في فقـرة مـن دعـاء أبي حمـزة الثـمالي: «أَوْ لَعَلَّـكَ فَقَدْتَنِـي مِـنْ مَجَالِـسِ الْعُلَـمَاءِ فَخَذَلْتَنِـي» (مصباح‌المتهجّـد/ج٢/ ص٥٨٨). وبالطبـع ليـس المقصـود مـن العلـماء بالـضرورة رجـال الديـن فحسـب، بـل كل شـخص يمتلـك رؤيـة صحيحـة صائبـة. مـاذا يفعـل العرفـاء؟ إنهـم يميّـزون رؤيتهـم عـن غيرهـم. فربمـا تكـون معلومـات العـارف بقـدر معلوماتـك لكـن رؤيتـه صائبـة. قـد ننظـر أحيانـا الى بـاب مـن زاويـة فـنراه مُغلقـاً، بينـما لـو نظرنـا إليـه مـن زاويـة أخـرى فسـنراه مفتوحـاً عـلى مصراعيـه بحيـث يتمكـن فيـل مـن المـرور مـن خلالـه!

لنعي عملية انتقال الرؤية ولا نكتسب أسلوب رؤية أيٍّ كان

لا بـد أن نعـي عمليـة انتقـال الرؤيـة ولا نكتسـب أسـلوب رؤيـة أي شـخص كان. ولا بـد أن نعـرف مـن هـو الشـخص الـذي يزوّدنـا برؤيتـه ومـا هـي الرؤيـة التـي يريـد تزويدنـا بهـا؟ حـين تشـاهدون برامـج الفضائيـات أو التلفـاز أو حـين تطالعـون الكتـب والصحـف والأشـعار والروايـات لا بـد وأن تنتبهـوا الى هـذا الموضـوع. يسـتغرق البعـض في مطالعـة قصـة أو روايـة مـا غافـلاً عـن زاويـة الرؤيـة التـي تنتقـل إليـه عبرهـا. عـلى سـبيل المثـال مـا هـي وجهـة النظـر التـي تنقلهـا إليـك مؤلفـات أمثـال «كافـكا وصـادق هدايـت»؟ أنـت تتسـلّى بروايتـه ولا تنتبـه إلى أن زاويـة رؤيـة معيّنـة تنتقـل إليـك، فتجعلـك - شـيئاً فشـيئا - تنظـر إلى الدنيـا بنفـس الرؤيـة وربمـا تتجـه نحـو الانتحـار بعـد فـترة!

يقول تعالى في القرآن الكريم: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِه» (عبس/٢٤). وفي تفسير الإمام الباقر(ع) للآية يشير إلى أن الطعام لا ينحصر بالمأكولات التي تدخل عن طريق الفم، بل يشتمل على كل ما يسمعه الإنسان ويبصره. «فِي قَوْلِ اللهِ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ قَالَ: قُلْتُ: مَا طَعَامُهُ؟ قَالَ: عِلْمُهُ الَّذِي يَأْخُذُهُ مِمَّنْ يَأْخُذُهُ» (المحاسن/ج١/ص٢٢٠).

أحياناً يصحّح الله رؤيتنا عبر بلاء أو سلب نعمة

يعمل إبليس جاهداً لإفساد نظرتنا حتى آخر أعمارنا. لا بد أن نتوخّى الحذر كي لا تفسد رؤيتنا، لأن تصحيح الرؤية الخاطئة قد يتطلب منا تحمّل الكثير من الآلام الجسيمة والشاقة. أحيانا يريد الله أن يقول لعبده «أن مشكلتك الفلانية ليست بعظيمة»، لكنه لا يتقبّل الأمر ويصر على أنها عظيمة جداً! فيوقعه الله بمشكلة كبيرة ليفهم معنى المشكلة الكبيرة! إذن فقد لا تدرك أن رؤيتك كانت خاطئة ولا بد من تصحيحها إلا عبر بلاء عسير. قد نكون أحياناً متنعّمين بنعمة عظيمة جداً، لكنّنا نكون رافضين لها أو غافلين عنها! لذا فقد يغيّر الله رؤيتنا عبر سلب تلك النعمة لندرك آنذاك بأنها كانت نعمة عظيمة حقاً.



زاوية الرؤية

الحلقة الثالثة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

الخطوة الأولى لتقويم الرؤية ووجهة النظر هي التفكير / قد يكون نمط حياتنا عدواً للتفكير ولا يسمح لنا بذلك / بعض الأفكار ليست تحليقاً في فضاء الفكر بل سقوط في الهاوية !

أحيانا لا يسمح لنا نمط حياتنا بالتفكير، بل يكون عدوّاً له أيضاً. فإن تقرأ على الفور الرسائل التي تصلك عبر الجوّال في كل دقيقة، لن تصبح إنسانا مفكّراً! قرّر أن تقرأ رسائلك في ساعة محدّدة كالساعة التاسعة مساءً.

تم تصميم القرآن بحيث يتمكن من تقويم نمط رؤيتنا / من أسباب التوصية بتلاوة القرآن باستمرار هو انتقال رؤية القرآن إلينا

لا يشبه القرآن الكريم الكتب العلمية، فهو كتاب «بصيرة» وقد تم تصميمه بحيث يتمكن من تقويم نمط رؤيتنا. فلا يقول القرآن ما هو الجيد وما هو الرديء، بل يبين «مقدار جودة أو رداءة ذلك الأمر الجيد أو الرديء وما هو السبب وراء جودته أو رداءته؟» بتعبير آخر، إن القرآن يأخذ بيدك لتنظر إلى جميع الأمور من الزاوية التي يريدها الله لك. القرآن ليس بكتاب نتعلّمه ونمتحن به ثم نتركه جانباً! إن إحدى أسباب التوصية «بتلاوة القرآن دائماً» هي انتقال رؤية القرآن إلينا. يروي أحد أفراد حماية الإمام الخميني(ره) أن سماحته كان يقرأ القرآن ١٢ مرة يومياً. فمن يريد أن تنتقل رؤية القرآن إليه لا بد أن يتلوه بهذا الأسلوب، بينما تكفي قراءة القرآن لمرة واحدة لو كان الهدف هو انتقال المعلومات فقط.

سينتقل نمط رؤية الله إلينا عند تأثير القرآن علينا

يهزّ القرآن قلب الإنسان. فإن أثّر القرآن في نفوسنا فسينتقل نمط رؤية الله إلينا! الرؤية القرآنية تغيّر زاوية رؤية الإنسان بالنسبة للموت والحياة وتُحْدث تحوّلاً في نفسيته. كان سماحة الإمام الخميني (ره) يقول: «أمريكا عاجزة عن ارتكاب أي حماقة» وكان يقولها بجدية وصلابة بالغة، لأن سماحته كان قد اكتسب رؤية قرآنية. القرآن يجعل الإنسان عظيماً، لأن الله جلّ وعلا يتكلم في القرآن بمقاييس المجرّات! ولهذا السبب بالذات قد يبتلى بعض طلّاب العلوم الدينية في عملية تبليغ الدين بالمبالغة.

وبالطبع لو دقّق المرء سيفهم بأن القرآن لا يستخدم أسلوب المبالغة، بل يتكلم بدقّة بالغة العاملون في المجال التبليغي والإعلامي، الذين يروّجون لسلعة معنوية أو دنيوية، يكونون عرضة لانتهاج المبالغة (التهويل أو التهوين). الفنّانون أيضاً قد يصطنعون المبالغة عند تصويرهم لقضية ما، فمثلا يغالون أيما مغالاة في وصف الزواج والحب بين الرجل والمرأة، بينما هو أمر طبيعي.

يجب أن نحترس من "المبالغة في التفكير" فما بالك "بالمبالغة في الكلام!"

يتحدث أصحاب الدنيا عادة بمبالغة فائقة حول الدنيا، مع أن حقيقة الدنيا لا تتميّز بجاذبية تُذكر. يجب أن نحترس من المبالغة في التفكير فما بالك بالمبالغة في الكلام! ينبغي أن لا نبالغ في الكلام حتى بالنسبة للدين. الناظر من بعيد إلينا نحن طلّاب العلوم الدينية وإلى ثقافتنا الدينية سيقول: ما أشد ما تبرّدون الناس تجاه الكثير من القضايا! وجوابنا هو: صحيح، لأننا نريدهم أن يَحمَون ويتلهّفون تجاه القضايا التي تستحق فقط! فلو أنك نبذتَ التلهّفات التافهة والتعلّقات العديمة القيمة لتكسّرت عنك أغلالُك ولاجتاحتك التلهّفات الأصيلة ذات القيمة الحقيقية! إن الله لا يهوّل الأمور ولا يهوّنها في القرآن ولا يبالغ بها، بل يبيّن المقدار الحقيقي لكل شيء. فيقول مثلاً: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُم * ويُدْخِلُهُمُ الْجَنَّة» (محمّد(ص)/٤-٦). كيف يصنع الله بالذين قُتلوا في سبيله؟ نحن نقول: إن الشهادة أمر عظيم جداً، فلا بد أن الله في مقابل هذا الشيء الفائق العظمة سيقيم لهم الدنيا! لكنه سبحانه يقول «إنه لن يضلّ أعمالهم، وسيصلح أمورهم ويدخلهم الجنة!» يا إلهي، نحن كنا نظنّ أنك ستحتفي بهم حفاوة تفوق ذلك! لكن الله تعالى يبيّن المقدار الحقيقي للجزاء ولا يبالغ في الكلام.

من يأنس بالقرآن تتميّز رؤيته وتعظم روحه

جاء في الروايات أن القرآن ظاهره مر في غالبية الأوقات، لكنه يصبح حلواً بعد التعمّق فيه. «الْقُرْآنُ كُلُّهُ تَقْرِيعٌ وَبَاطِنُهُ تَقْرِيبٌ» (معاني الأخبار/ ٢٣٢). القرآن ليس كتاب دعاية ولذلك فهو يبيّن مقدار كل شيء بدقة ودون مبالغة. إنه لا يغالي حتى في الاحتفاء بالشهيد، بل ويتعامل مع رسوله(ص) أيضا بصلابة عالية ومنطق. فالقرآن إذن لا يتكلّم بمبالغة، بل ينظر بدقّة وواقعيّة ويريد تقويم «رؤيتنا» وإضفاء الدقة عليها.

وإذا تحدث القرآن عن الأعداد والأرقام الهائلة فليس من باب التهويل، بل إنه يتحدّث عن حقائق ضخمة فكل من يتلو القرآن ويجعله قرينا له ستتغير رؤيته وتعظم روحه. وكنموذج من نوعية رؤية الله تعالى في القرآن يمكنكم مشاهدة رؤيته بالنسبة للقيامة. يقول سبحانه سنلتقي قريباً في يوم القيامة! أما نحن فنعتقد أن اللقاء لن يكون قريباً فقد مضى ١٤٠٠عام منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا ولا نعلم كم سنة أيضاً باقية حتى يوم القيامة. لكن الله لا يعدّ هذه السنين شيئاً يُذكر! يقول سبحانه في محكم كتابه: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون» (الحج/٤٧). يريد القرآن أن يزوّد الإنسان برؤية صائبة، فإن اكتسبت هذه الرؤية القرآنية فسوف لا ترى هذه الفترات الزمنية طويلة وبعيدة المدى!

التفكيرهو الخطوة الأولى لتقويم النظر وزاوية الرؤية

إن أراد شخص أن يمسك بزمام رؤيته ويقوّمها، فما هي الخطوة الأولى التي ينبغي عليه أن يخطوها؟ ذكرنا لحد الآن بضع نقاط حول هذا الموضوع من ضمنها مجالسة القرآن ومعاشرة أهل الرؤية الصائبة. وبالطبع هذه الخطوات ضرورية في محلّها، لكن لو أردنا مناقشة الموضوع من الجانب الأنثروبولوجي فلا بد أن نشير إلى أن الإجراء الأول الواجب اتخاذه لتقويم الرؤية هو «التفكير». وقد تم تقديم التفكير في الروايات كوسيلة وطريق للوصول إلى البصيرة والرؤية الصحيحة. قال أمير المؤمنين(ع): «أَفْكِرْ تَسْتَبْصِر» (عيون الحكم/ ص٧٥) و: «رَأْسُ الِاسْتِبْصَارِ الْفِكْرَة» (غررالحكم/ ص٥٧) و«مَنْ طَالَتْ فِكْرَتُهُ حَسُنَتْ بَصِيرَتُه» (نفس المصدر). وفي رواية أخرى قال علي(ع): «لَا بَصِيرَةَ لِمَنْ لَا فِكْرَ لَه» (عيون‌الحكم/٥٣٩) و«مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَر» (نهج‌البلاغة/ الرسالة ٣١)، أي من يفكّر جيداً يكتسب رؤية صحيحة وصائبة. وقال(ع): «إِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَفَكَّر» (عيون‌الحكم/ ص١٧٨). و»الحكمة» هي أبرز أنواع التفكير. وهي تعني خلق المواضيع عبر التفكير. قال تعالى في وصف الرسول(ص): «يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (الجمعة/٢)، أي لا تكتفِ بتعليم الناس الكتاب، بل علّمهم الحكمة أيضاً! لأن الحكمة ثمرة التفكير. لكن البعض للأسف يتّهمنا نحن معشرَ المتديّنين بأننا أعداء التفكير!

أحيانا لا يسمح لنا نمط حياتنا بالتفكير بل يكون عدوّاً له أيضاً!

أحياناً لا يسمح لنا نمط حياتنا بالتفكير بل يكون عدواً له أيضاً! فالموسيقى وأنواع الأمور المسلّية وكل شيء يستحوذ على انتباه الإنسان بشدة، يحول دون تفكيره. حتى الإفراط في الاستماع إلى المحاضرات يمنع التفكير. فلو وصلت جوّالك رسالة كل دقيقة وتريد أن تقرأها في نفس اللحظة فلن تكون إنسانا مفكّراً! قرّر أن تقرأ رسائلك في ساعة محددة فقط، من الثامنة إلى التاسعة مساءً مثلاً. يقول علماء النفس: كل أمر يُلْهي الإنسان ويبعده عن التفكير سيؤدي به إلى البلادة (ركود الذهن)، كعادة مشاهدة التلفاز بإفراط. فإن شعرت بأنك انجذبت بشدة إلى فلم أو مسلسل ما وأنه يشدّ انتباهك بقوة فلا تشاهده! يقول تعالى: إذا أحببت التحدّث معي ومناجاتي تعال في جوف الليل! فالخطباء وقرّاء المراثي في مجالس رثاء أهل البيت(ع) وفي مجالس الدعاء والمناجاة العامة إنما يمهدون لك السبيل، لكن تعال في الأسحار واجلس بنفسك وتفكّر وتحدّث معي. فالآية الكريمة : «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...» (آلعمران/١٩١) إنما تختص بوقت السحر.

بعض الأفكار ليست تحليقاً في فضاء الفكر، بل سقوط في الهاوية!

بعض الأفكار ليست تحليقاً في فضاء الفكر، بل سقوط في الهاوية. وبالطبع يذوق المرء طعم الحرية في كلا الحالتين، لكن نشوة السقوط قصيرة جداً! فلذلك نستطيع القول إن عدم التفكير أفضل من بعض حالات التفكير التي لا تعتمد على أساس قويم. يفكّر البعض في أنه: «كيف يوصل إلى الآخرين كلاماً قد اقتنع به من دون تفكير؟» أو «كيف يحقق رغبة نشأت في نفسه دون تفكير؟» ولو أنه تأمّل قليلاً لتنبّه إلى مدى سخافة ذلك الكلام أو تفاهة تلك الرغبة! كما أن البعض إذا فكّر انتابه الحرص وأخذه الحسد والحسرة، فمن الأفضل له ألا يفكّر بتاتاً!

مجلس عزاء الإمام الحسين(ع) هو مجال للتفكير

الفكر والحكمة متواجدان في مجلس الإمام الحسين(ع) أكثر من أي مكان آخر. فلا يتعمّق فكر الإنسان في أي مكان كالمكان الذي تموج فيه محبة أهل البيت(ع). ولولا محرّم لا يصبر المرء كل هذا الصبر على الإصغاء إلى المحاضرة الدينية! اللطم والبكاء على أبي عبد الله الحسين(ع) مقدمة للتفكير الجيد، ومجلس عزاء أبي عبد الله الحسين(ع)هو مجال للتفكير. ليلة عاشوراء أيضاً هي ليلة تفكّر وتأمّل! فلنتأمل في أنه: هل نحن مستعدون لنصرة الإمام الحسين(ع) أم لا؟ على أننا إن كنا مستعدين لنصرته(ع) لم نأت بإنجاز ذي شأن! فمشكلة صاحب الزمان(عج) لا تُحَلّ بهذا.

الأصحاب الذين يريدهم صاحب الزمان(عج) تختلف وظائفهم عن شهداء كربلاء

عاشوراء هي بداية تربيتك وليس نهايتها! فالتربية الحسينية هي بداية الطريق لكنك لن تواجه ظروفاً حسينية! لا تستطيع أن تقول: «سيدي يا بن الحسن! أقبل إلينا! فإن أقمتَ ليلة عاشورائية فسأكون ضمن المرابطين في خيمتك!» لكنه(ع) سيجيبك: آسف، لن يكون لي عاشوراء! أنا أصدق كلامك، فلو حاصروني في مصرع الطف فستهُبّ لنصرتي، لكن أمور العالم لا تستقيم بنصرتك هذه. أنا أريد شيئاً آخر... مهمة صاحب الزمان(ع) تختلف عن مهمة الإمام الحسين(ع) في كربلاء! غالبية المُعزّين في محرّم مستعدون لتقديم أنفسهم فداءً للإمام الحسين(ع)، فلماذا لا يظهر صاحب الزمان(ع) مع وجود هذا العدد الضخم من الأصحاب الفدائيين؟ ألم يكن(ع) يريد ٣١٣ شخصاً فقط؟ في لحظة الاستشهاد يصبح الإنسان طاهراً ومضحّياً بكل ما لديه تلقائياً، لكنك، في عهد دولة صاحب العصر(ع)، عليك أن تكون بطهارة وتضحية أولئك الذين ضحّوا في ليلة عاشوراء! التنازل عن الدنيا في لحظة الشهادة ليس بأمر عسير، لكن ينبغي عليك أن تصرف النظر عن دنياك وأنت حي! فمهمة الأصحاب الذين يريدهم صاحب الزمان(ع) تختلف عن مهمة شهداء كربلاء! فلا يكفي أن تهيّئ نفسك لموقف كموقف عاشوراء فحسب، بل عليك أن تستعد لموقف مثل دولة صاحب الزمان(ع) أيضاً.



زاوية الرؤية

الحلقة الرابعة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

من مميزات الرؤية الجيدة قدرة "الرؤية من الخارج"/النظر من الخارج إلى الظواهر يوفّر لنا إمكانية التقييم الأدق/من ينظر إلى الأمور من الأعلى سيتميز بالنشاط والرؤية المستقبلية

تؤثر نفسية الإنسان وصفاته على نمط رؤيته، فالمبتلى بالحسد يرى المشهد بشكل ومن ليس عنده حسد يراه بشكل آخر. وكذا الحال بالنسبة للمبتلى بالبخل.

تؤثر نفسية الإنسان وصفاته على نمط رؤيته / النظر من الخارج إلى الظواهر يوفّر لنا إمكانية التقييم الأدق

تؤثر نفسية الإنسان وصفاته الروحية على نمط رؤيته، فالمبتلى بالحسد يرى المشهد بشكل ومن ليس عنده حسد يراه بشكل آخر. وكذا الحال بالنسبة للمبتلى بالبخل. فعند ضبط رؤيتنا لظواهر العالم، ستُظهر صفاتنا الأخلاقية نتائجها وآثارها. النظر من الخارج إلى الظواهر وتجنّب الغور فيها يهب المرء قدرة تقييم أدق. فإن غرقت أو تعمّقت في الظواهر لن تتمكن من تقييمها بشكل صحيح ودقيق، ولا سيما حين يريد المرء تقييم نفسه. فإن استطاع أن ينظر إلى نفسه من الخارج سيصل إلى تقييم دقيق عنها. وإن نظرنا إلى أنفسنا من الخارج ستتمكن من محاسبتها بشكل أفضل.

إن نظرنا إلى أنفسنا من الخارج سنتمكن من محاسبتها بشكل أفضل

إن استطعنا - ما دمنا نعيش في هذه الدنيا وقبل الانتقال إلى عالم الآخرة - أن ننظر إلى أنفسنا وحياتنا من الخارج، سنتمكن من محاسبة أنفسنا بشكل أفضل. بتعبير آخر، إن النظر إلى النفس من الخارج يعني: «موتوا قبل أن تموتوا»! لأن الإنسان ينفصل عن جسده دفعة واحدة في لحظة نزع الروح ويشاهد حياته وشخصيته كلها من الخارج. يكون الإنسان في فترة الطفولة غارقاً في التفاصيل وعاجزا عن النظر من الخارج. فأن يبتعد الإنسان عن فترة الطفولة ويكبر بالمعنى الحقيقي للكلمة أمر جيد جداً. فحين يذهب الطفل إلى ضيافة ما، سيستغرق باللعب مع الأطفال وينهمك في تفاصيل اللعبة إلى درجة يعجز عن الرؤية من الخارج ليدرك: إلى أين جئت؟ وما هي توقعات صاحب المنزل مني؟ وكيف سيكون تصوره عني بعد ذلك؟ وما هي الأشياء غير المسموح لي بلمسها وما هي الأعمال التي لا ينبغي أن أقوم بها؟

من مميزات الرؤية الجيدة قدرة "النظر من الخارج" / من ينظر من الخارج إلى الظواهر سيميّز جذور وآثار كل ظاهرة

من مميزات الرؤية الجيدة هي أن يصبح الإنسان قادراً على النظر من الخارج. فالناظر من الخارج يميّز أسباب كل ظاهرة وآثارها، كما يكون قادراً على تمييز جذورها ونتائجها. وبالطبع يحتاج النظر إلى الظواهر من الخارج إلى ممارسة وتمرين، والقرآن الكريم ممتاز لتعويدنا على مثل هذه النظرة. على سبيل المثال، إن نظرنا من الخارج إلى حضارة الغرب سندرك بسهولة أنها في سبيلها إلى الانهيار. وإن نظرنا من الخارج سنفهم عبر تحليلاتنا الخاصة أن الإمام الحسين(ع) سيسيطر على العالم. وحين نتأمل من الخارج إلى عملية تملّك أبي عبد الله الحسين(ع) للقلوب سنشعر بمدى اقترابنا من الظهور. بعض الأشخاص إذا شارك في مسيرة الأربعين غاص في المسيرة ذاتها فلا ينظر إلى الأربعينية ككل من الخارج، ولذلك يعجز عن إدراك عظمتها.

إن نظرنا إلى مجتمعنا من الخارج سنلاحظ أن الظروف بعد الثورة كانت لصالح الحق دائماً

لا يرى الكثير من الأشخاص المحاسن المنتشرة في مجتمعنا برؤية من الخارج. بينما لو نظرنا من الخارج إلى محاسن ومساوئ المجتمع، لشاهدنا أن مجريات الأمور بعد انتصار الثورة كانت دائماً لصالح تيّار الحق. فإن تمكّنا من النظر بهذا النمط ستكون رؤيتنا إيجابية. وبعد انقضاء حقبة الدفاع المقدس (الحرب المفروضة)، ساور البعض يأس شديد من أنّ أجواء الجهاد والشهادة ستنتهي. أما اليوم فانظروا إلى شهداءِ حماة الحرم ومدى تلهّف الشباب واشتياقهم للجهاد والمقاومة! فإن نظرنا إلى الأمور من الخارج ستكون رؤيتنا صائبة وإيجابية.

إذا شعرت أن قافلة الزمن تتجه صوب الإمام الحسين(ع) بسرعة فستحاذر من أن تتأخر عنها

إذا شعرتَ أن قافلة الزمن تتجه صوب الإمام الحسين(ع) بسرعة فستحاذر كي لا تتأخر عنها وستحرص على الالتحاق بها. بيد أنك ستشعر بالوهن وتتباطأ في الجدّ والاجتهاد لو أحسست أن قافلة الزمن تبتعد عن الإمام الحسين(ع). حين بدأت موجة التراجع في غزوة أحد، أخذ الجميع يتراجعون دفعة واحدة وتركوا رسول الله(ص) والإمام علي بن أبي طالب(ع) ورجلا آخر لوحدهم،

بحيث كان رسول الله(ص) على وشك الاستشهاد. لكن حين جاء نصر الله وبات ظاهراً جلياً للجميع، أتى الناس أفواجا ودخلوا في دين الله: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً» (الفتح/١و٢) الأشخاص الذين لا ينظرون إلى الأمور من الخارج وينكبّون على التفاصيل والقضايا الجزئية لا يشاهدون بعض الحقائق الهامة. على سبيل المثال، قد ينشغل البعض من المتدينين والثوريين بانتقاد مشاكل المجتمع وينهمكون بذلك إلى درجة أنهم لا يشاهدون الوتيرة الهائلة المتصاعدة صوب النصر والنجاح. فاليوم يعاني أدب المتدينين وأنصار الثورة من الضعف والخمول في تعبيرهم عن النصر والفتح، بينما ينبغي علينا أن نقرع طبول الانتصارات دائماً عبر أساليب وتعابير متنوعة.

من ينظر إلى الأمور من منظر أعلى سيتميز بالنشاط والرؤية المستقبلية

الإنسان الذي ينظر من الأعلى إلى الظواهر يكون نشيطاً. فرؤيتك هي التي تؤدي إلى ظهور الشوق والولع في نفسك للنشاط والبداية بالكفاح والحركة إلى الأمام لتقتحم الساحات. الرؤية من الأعلى والنظر من الخارج وتجنب الانشغال بتفاصيل القضايا وملاحظة الوتيرة المتصاعدة للنجاح، تخلق عند المرء الشعور بالانتصار واغتنام الفرص ليقوم بأعمال صالحة وإيجابية.

النظر من الخارج يُكسِبك رؤية مستقبلية ويجعلك تشاهد مسيرة الحق الماضية نحو الظّفَر. الرؤية من الخارج تُظهر لك مدى سرعة عجلة النجاح والانتصار وهي بدورها تؤدي إلى تلهّفك لعدم التأخر عن الركب والقيام بعمل ما!

إن نظرنا من أفق أعلى سنشاهد أن الأجواء اليوم أيضاً بنفس روعة أيام الدفاع المقدس، فانتبه لكي لا تتأخر!

ما حدث في جبهات القتال في حقبة الدفاع المقدس هو أن الشباب كانوا حريصين على التسابق في ميادين الجهاد والشهادة، وكانت عندهم دوافع قوية، بسبب الأجواء الساخنة الرائعة التي كانت سائدة آنذاك. وإن نظرنا اليوم أيضاً من منظر أعلى، فسنرى أن الأجواء أعلى عظمة وروعة من زمن الحرب، كما أنها أشد تحفيزاً وإلهاباً للمشاعر ولا ينقصها إلا الشهادة.

لم ينجـذب البعـض إلى أجـواء الحـرب حتـى في فـترة الدفـاع المقـدس ولم ينتقـل إليهـم ذلـك الشـعور الجميـل المحبّـب. واليـوم أيضـاً لا يختلـف الأمـر، فالأجـواء محمومـة بشـدة وذات طابـع دفـاع مقـدس وهـذا أمـر رائـع جـداً. فـإن نظـرت مـن الخـارج سـترى الأجـواء سـاخنة جـداً وسـتلاحظ سرعتهـا. الخشـية أن تقـول يـوم غـد بأنـه لم يكـن لي دور في الظهـور أو كان دوري ضئيـلاً! انتبـه كي لا تتأخـر، سـجّل حضـورك في الطابـور الأول، قـم بـأداء الـدور الأول!



زاوية الرؤية

الحلقة السادسة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

نمط الرؤية عند كل شخص هو حصيلة رغباته إضافة إلى معلوماته / يتخذ الناس قراراتهم وفقاً لرؤاهم وليس بناء على معلوماتهم فقط / الكثير من الامتحانات الإلهية هو امتحان في "نمط الرؤية"

نمط الرؤية هو من العوامل المهمة لتقييم المرء. لماذا تعدّ رؤية الإنسان مهمة ومؤثرة إلى هذه الدرجة؟ لأن الرؤية هي حصيلة كيان الإنسان بأجمعه. فرؤية كل إنسان ناجمة عن رغباته إضافة إلى معلوماته، ولا تتكون رؤية الإنسان أبداً من معلوماته ومعارفه فقط.

غالبا ما يتخذ الناس القرارات بناء على أنماط رؤيتهم لا على معلوماتهم فحسب!

تحدثنا في المحاضرات السابقة عن أهمية «الرؤية» وزاويتها عند الإنسان من منظار الدين، وعن مدى عمق تأثير الرؤية ونمطها، وكذلك تكلمنا عن الجهود العظيمة التي تُبذل اليوم في عالمنا في سبيل السيطرة على وجهات نظر الناس وتغييرها. والمعارف والمعلومات ليست إلا أدوات بيد الذين يريدون السيطرة على رؤى الناس. لا يتخذ الناس قراراتهم بناء على معلوماتهم فحسب، بل يقررون وفقاً لوجهة نظرهم ونمط رؤيتهم أيضاً. بتعبير آخر، غالباً ما يمزج الناس معلوماتهم بأمور أخرى (سنشرحها لاحقاً) لتتولّد عندهم في النهاية حصيلة تُدعى ب»الرؤية» والتي يقررون وفقاً لها.

لماذا تعدّ رؤية الإنسان مهمة؟ نمط الرؤية عند كل شخص هو حصيلة رغباته إضافة إلى معلوماته

لماذا نمط رؤية الإنسان بالنسبة للظواهر هو على هذا القدر من الأهمية بحيث يحاول الصديق والعدو التاثير على نمط رؤيتنا؟ لماذا يهتم الله سبحانه وتعالى برؤية عباده إلى هذه الدرجة ولماذا يحاول إبليس، وهو عدو الإنسان، أن يشوّه رؤية الناس إلى هذا الحد؟ السبب الكامن وراء أهمية رؤية الإنسان أو زاوية هذه الرؤية أو نمطها يعود إلى أن رؤية كل شخص هي حصيلة رغباته وميوله بالإضافة إلى رصيده المعلوماتي. فلا تكون نظرة الإنسان أبداً نتيجة معلوماته ومعارفه فحسب، بل لا بد أن تتحقق أمور في داخله ليكتسب رؤية دقيقة وعميقة. فحين يضيف الإنسان ميوله إلى معلوماته ومعارفه ستتكون نظرته ونمط رؤيته آنذاك.

الرغبة العارمة في أمر ما يجعل نظرتك إليه إيجابية

تؤثر رغبات الإنسان وتوجهاته على رؤيته، فإن كنتَ تحب أمراً حباً شديداً ستكون رؤيتك بالنسبة له إيجابية وستقدم شتى التبريرات بأن «هذا الأمر ممكن»، أما إن لم تكن لديك رغبة بذلك الأمر فستتحول نظرتك إليه سلبية وستقول باستمرار: «هذا الأمر غير ممكن!» وإن كنت جباناً فستختلف رؤيتك للظواهر والقضايا عمّا إن كنت شجاعاً. وإن كنت تحب دنياك كثيراً فستختلف رؤيتك للموت عمّا إن كنت لا تحب الدنيا كثيراً. إن كنت تهوى الاستمتاع بملذّات الدنيا كثيراً لكنك لا تستمتع بهذه اللذات لأسباب شتى أو تحرم نفسك منها بالتضييق عليها (كأن لا تملك المال الكافي أو القوة الكافية أو المهارة الخاصة للاستمتاع، أو لكونك متدينا لا تنجرف صوب ملذّات الدنيا لكنك ترغب فيها)، فستكون رؤيتك مشبعة بالحقد والإزدراء بالنسبة لمن يتمتع بالدنيا. ومن جانب آخر، إن كنت لا تبحث عن اللذّات كثيراً ومن ثم لا تتجه صوب ملذّات الدنيا أيضاً نتيجة اتصافك بالتعقّل والروح المعنوية، فستكون نظرتك تجاه من ينجرف وراء لذّات الدينا نظرة مشفقة، أي ستشفق عليه وتتألم من أجله لأنه غارق في الملذّات الصغيرة الحقيرة ومحروم من اللذات العليا.

رؤية الناس هي حصيلة معرفتهم وميولهم

لماذا يُعدّ نمط رؤية الإنسان مهماً؟ لأن الرؤية هي حصيلة معرفة الإنسان وميوله، تلك الميول التي لا يكتشفها الناس ببساطة في وجودهم ولا يدركونها بوعيهم. فإن ذرة من الغرور، أو من الحسد أو من حب الجاه أو حب المال (بمعناه السلبي طبعاً)، وأي صفة أخرى من هذه الصفات السلبية من شأنها أن تؤثر على رؤية الإنسان. الرؤية تعني المعرفة بالإضافة إلى ميول الإنسان ورغباته. النظرة والرؤية تعني العلم ممزوجاً بالرغبات الموجودة في كيان الإنسان. يروى عن أمير المؤمنين(ع) قوله: «لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي» (نهج‌البلاغة/ الحكمة ٤٥). والمقصود هو أن رؤية المؤمن لا تتغير بالنسبة للإمام(ع).

وبالطبع كان هناك من تتغير وجهة نظره بمجرد مشاهدة أدنى حركة من أولياء الله (لا تعجبه). فماذا حلّ بابن ملجم مثلاً لتتغير رؤيته تجاه أمير المؤمنين(ع) بعد ما كان له ما كان من المعرفة بالإمام والمعلومات عنه؟ ما الذي كان يضمره في قلبه لتتغيّر رؤيته تبعا لذلك؟ المعلومات التي كانت لدى ابن ملجم حول الإمام علي(ع) كانت لدى الآخرين أيضاً فلماذا لم يحصل ذلك مع باقي أصحاب الإمام والمحيطين به؟ على سبيل المثال لماذا لم يتغير كميل أو مالك الأشتر؟ إذن ليست المعرفة هي العامل المؤثر في رؤية الإنسان فحسب، بل إن ميوله أيضاً لها عظيم الأثر وبالغ الأهمية في هذه الرؤية.

الكثير من الامتحانات الإلهية هو امتحان في نمط الرؤية

في زمن الرسول الأكرم(ص) أيضاً كانت نظرة الناس للنبي(ص) تتحول أحياناً إلى نظرة سلبية بمجرد سماع خبر ما. فمثلاً في الطريق إلى غزوة تبوك حاول المنافقون إثارة الخلاف وتضعيف المجتمع عبر النيل من بعض الصحابة - حيث نزلت آنذاك سورة «المنافقون» بشأنهم - وفي تلك الظروف التي كان المنافقون يحاولون تشكيك المؤمنين برسول الله(ص)، أصدر النبي(ص) أوامره فجأة بالحركة، وما إن أراد الناس الحركة افتقدت ناقة رسول الله(ص) فأخذ ينادي باحثاً عن ناقته، فاستغلّ المنافقون هذا الموقف قائلين: كيف يستطيع هذا الرجل أن يرينا سُبُل السماء بينما يعجز عن العثور على ناقته؟ «...فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ فَقَالُوا يُخْبِرُنَا بِأَسْرَارِ السَّمَاءِ وَلا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ» (الخرائج والجرائح/ ج١/ ص٣٠). وفي هذه القضية، تزعزعت رؤية البعض بالنسبة للرسول(ص). فالكثير من الامتحانات الإلهية ليست إلا امتحان «رؤية»، إذ قد يبتليك الله بمشكلة ما، ثم لا يحلّها لك، لا بل يزيدها تعقيداً! فهو يريد أن يرى كيف تكون رؤيتك تجاه الله؟ هل تبقى تقول «يا إلهي، أنت في منتهى الرحمة والإحسان!» هل تبقى تتودّد وتتحبّب إلى الله كما كنت سابقاً أم ينتهي أوان هذا الكلام وتصبح رؤيتك سلبية!

من العوامل المهمة لتقييم أي شخص هي رؤيته / الرؤية هي حصيلة كيان الإنسان بأكمله

رؤيـة المـرء تُعـدّ مـن العوامـل المهمـة لتقييمـه. لمـاذا تتميـز رؤيـة الإنسـان بهـذا القـدر مـن الأهميـة والتأثـير؟ لأن الرؤيـة هـي حصيلـة كيـان الإنسـان بأكملـه. فـإن كانـت نزعـات الإنسـان وتوجهاتـه صحيحـة فلـن تتشـوه رؤيتـه حتـى وإن كانـت معلوماتـه خاطئـة أو ناقصـة. لا يسـتطيع أحـد أن يلتمـس الذريعـة لانحرافـه قائـلاً «وصلتنـي معلومـات خاطئـة، معلومـاتي كانـت ناقصـة....» فـإن كانـت توجهاتـك صحيحـة فلـن تنحـرف بالمعلومـات الخاطئـة أو الناقصـة أبـداً. وقـد ورد في الحديـث أن المؤمـن لا يشـك بالحـق بتاتـاً، وأن الكافـر أو المنافـق لا يتيقّـن بالحـق أبـداً: «عَـنْ أَبِي عَبْـدِ اللـه(ع) قـال: أَبَى اللـهُ أَنْ يَجْعَـلَ الْحَـقَّ فِي قَلْـبِ الْمُؤْمِـنِ بَاطِـلاً لا شَـكَّ فِيـهِ، وَأَبَى اللـهُ أَنْ يَجْعَـلَ الْبَاطِـلَ فِي قَلْـبِ الْكَافِـرِ الْمُخَالِـفِ حَقّـاً لا شَـكَّ فِيـه» (المحاسـن/ ج١/ ص٢٧٧) وعنـه(ع): «لا يَسـتَيقِنُ القلـبُ أنَّ الحـقَّ باطـلٌ أبـداً ولا يَسـتَيقِنُ أنَّ الباطـلَ حـقٌّ أبداً» (تفسـير العيـاشي/ ج٢/ ص٥٣). مهـما جئـت للمنافـق بالأدلّـة والبراهـين العقليـة والمسـتندات المُحكمـة في إثبـات الحـق لا يتقبّلـه وسـيقول لـك مثـلاً: «كانـت أدلتـك منطقيـة تمامـاً، سـأفكر فيهـا!» لكنـه لا يقبـل الـكلام الحـق في نهايـة المطـاف. ومـن جانـب آخـر، حـين تشـيع إشـاعة موافقـة لميولـه ورغباتـه فإنـه سـيتقبل هـذا الـكلام الباطـل بسـهولة ودون أي دليـل وبرهـان! ويجـدر القـول لمثـل هـذا الشـخص أن «اطلـب مـن هـؤلاء أيضـاً دليـلاً عـلى الأقـل ولا تتقبـل الأمـر مـن دون دليـل! فلِـمَ تقبّلتـه هنـا مـن دون أي دليـل وبرهـان؟»

من لا يخاف تصلحْ رؤيته

إن سـبب الأهميـة البالغـة لـ»الرؤيـة» يعـود إلى أن ميـول الإنسـان وتوجهاتـه تؤثـر عليهـا، فمثـلا مـن لا يخـاف تصلـحْ رؤيتـه. «الشـجاعة» هـي أُولى وأهـم السـمات عنـد العرفـاء. فالإنسـان الشـجاع لا يخـشى إلا اللـه، وعندهـا سـيصبح موحّـداً وعارفـاً لأنـه سـيدع «مـا سـوى اللـه» جانبـاً وسـيؤمن بأنـه «لا مؤثـر فـى الوجـود إلا اللـه». كان سـماحة الإمـام الخمينـي(ره) عارفـاً باللـه وكانـت سـمة الشـجاعة مـن أهـم سـماته، كـما أن السـيد القائـد أيضـا كان يؤكـد عليهـا. قـال سـماحة الإمـام الخمينـي(ره) لنجلـه ذات يـوم: إني لا أدرك شـيئاً مـن هـذا الـذي يُطلـق النـاس عليـه اسـم الخـوف ولم أعـش هـذا الشـعور لحـد الآن! فـلا أفهـم مطلقـاً مـاذا يعنـي أن فلانـا يخـاف مـن شيء مـا!

وشـجاعة الإمـام هـذه هـي التـي ألهمتـه النظـرة والرؤيـة الصائبـة ولذلـك كان سـماحته يقـول مسـتلهماً مـن هـذه الرؤيـة إن «أمريـكا عاجـزة عـن ارتـكاب أي حماقـة». كان الإمـام(ره) يؤمـن حقيقـةً أن أمريـكا عاجـزة عـن ارتـكاب أي حماقـة ولم يتفـوه بتلـك العبـارة للدعايـة!

الفنان الملحمي بحاجة إلى صفة الشجاعة

يـدور حديثنـا في هـذه المحـاضرات حـول «زاويـة الرؤيـة في الفـن الملحمـي»، والملحمـة تعنـي الشـجاعة! الفـن الملحمـي بحاجـة إلى صفـة الشـجاعة، فلابـد أن تكـون باسـلاً ولا تهـابَ شـيئاً. بغـض النظـر عـن حاجتنـا للرؤيـة الصائبـة في الحيـاة مـن ألفهـا إلى يائهـا، وبغـض النظـر عـن أن المقـدّرات الإلهيـة تقـدّر لـكل إنسـان وفقـاً لرؤيتـه الصائبـة، وبغـض النظـر عـن أن صاحـب الزمان(عـج) يختـار أصحابـه مـن بين أهـل الرؤيـة الصائبـة، وبغـض النظـر عـن أن الرؤيـة الصائبـة تخفّـف مـن محـن الدنيـا، وبغـض النظـر عـن أن الرؤيـة الصائبـة هـي علامـة قيمـة الإنسـان وينبغـي عـلى المـرء أن يقـوّم رؤيتـه كل يـوم لأنهـا حصيلـة جميـع ثرواتـه القيّمـة، بغـض النظـر عـن جميـع هـذه الأمورفإنـه لا بـد أن نتصـف بالرؤيـة الصائبـة في الفـن الملحمـي أيضـاً، ومـا رؤيـة الإنسـان إلا نتـاج رغباتـه وميولـه إضافـة إلى معارفـه. مـن يسـتطيع إنتـاج أثـر ملحمـي؟ إنـه الـذي يتمتـع برؤيـة ملحميـة. ومـن يسـتطيع أن يكتسـب رؤيـة ملحميـة؟ إنـه الـذي يتمتـع بصفـة الشـجاعة ضمـن خصالـه الروحيـة، فـلا يخـاف مثـلاً مـن الإحبـاط في العمـل الفنـي. إن سرّ عـدم الخـوف مـن ازدراء الآخريـن يكمـن في عـدم المبـالاة بتشـجيعهم أيضـا. فـإن صفّـق لـه العـالم بأجمعـه لم يكـترث بذلـك، بـل يحـزن مـن أجلـه. وقـد جـاء أيضـاً في الروايـات أن المؤمـن يحـزن مـن تشـجيع الآخريـن: «إِنْ زُكِّـيَ أَحَدُهُـمْ خَـافَ مَـا يَقُولُـونَ وَيَسْـتَغْفِرُ اللَّـهَ مِـمَّا لَا يَعْلَمُـونَ وَقَـالَ أَنَـا أَعْلَـمُ بِنَفْـسِي مِـنْ غَيْـرِي» (أمـالي الصـدوق/ ص٥٧٢).

مَن يحزن من التشجيع فأيُّ تحقير يخشى؟! حتى إن وقف العالم كله في وجهه وقام بازدرائه لن يخاف شيئاً! كما قال «عمار» في حرب الجمل إنه لن يتردد قيد أنملة في دعم علي بن أبي طالب(ع) حتى إن وقفت الدنيا بوجهه: «لَمَّا انْهَزَمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَمَرَ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْ تَنْزِلَ عَائِشَةُ قَصْرَ أَبِي خَلَفٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ جَاءَهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ (رَضِي اللهُ عَنْهُ) فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّتِ كَيْفَ رَأَيْتِ ضَرْبَ بَنِيكِ دُونَ دِينِهِمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَتْ: اسْتَبْصَرْتَ يَا عَمَّارُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ غَلَبْتَ. قَالَ: أَنَا أَشَدُّ اسْتِبْصَاراً مِنْ ذَلِكَ، أَمَا وَاللهِ لَوْ ضَرَبْتُمُونَا حَتَّى تُبَلِّغُونَا سَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَلِمْنَا أَنَّا عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ...فَرَأَيْتُ عَلِيّاً أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَأَعْلَمَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَأَشَدَّهُم تَعْظِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَأَعْرَفَهُمْ بِالسُّنَّةِ، مَعَ قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعِظَمِ عَنَائِهِ وَبَلَائِهِ فِي الإِسْلَامِ» (أمالي الطوسي/ ص١٤٣).

من هو الفنان الملحمي؟

ما هو الفن الملحمي ومن هو الفنان الملحمي؟ من هو الذي يفهم الملحمة ليقدّمها بعد ذلك إلى الآخرين على هيئة عمل فني؟ نحن ـ مع الأسف ـ عاجزون حتى عن عَكس ملحمة اللطم عبر الفن بشكل مقبول. نحن لا نقدر أن نعكس ملحمة الأربعين أيضاً بشكل جيد، فما بالك بملحمة الإمام الحسين(ع)! هذه المراسيم نفسُها التي يقيمها الناس في كل مكان كاللطم على الصدور، ولبس السواد، وإقامة المآتم، والنعي كلها ملاحم وليست بأمر اعتيادي! في أي بقعة من بقاع الأرض تجدون مثل هذه الأمور؟! ما هي القوة التي تشدّ قلوب الناس إلى الإمام الحسين(ع) بعد مضي ١٤٠٠ عام؟ تأمّلوا فيها! جاء في رواية شريفة عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «إِزَالَةُ الْجِبَالِ أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ قَلْبٍ عَنْ مَوْضِعِهِ» (تحف العقول/ ص٣٥٨) فماذا يحدث حتى تهتز قلوب الناس إلى هذه الدرجة بمجرد ذكر اسم الإمام الحسين(ع)؟ أليس هذا إعجازاً؟ لم يُذكر في التاريخ أن شخصاً أقام العزاء بهذا الأسلوب على فقْدِ والده أو والدته حتى لمدة أربعين عاماً. فكيف لا يكون معجزة ما نراه بعد ١٤٠٠ عام من استشهاد الإمام الحسين(ع)؟ صاحب الرؤية الصائبة يدرك هذه الأمور.

لن تبلغوا "النظرة الملحمية" حتى تكون توجهاتكم صحيحة

لماذا تعدّ رؤية الإنسان ذات قيمة؟ لأنها مؤشّر على توجهاته. فإنّ توجهات المرء وميوله تُدمج بمعارفه ومعلوماته لتتحول إلى رؤية. بناء على ذلك فإنكم لن تبلغوا الرؤية الراقية والدقيقة، ولا سيما الرؤية الملحمية، ما لم تكن ميولكم سليمة. ولا بد أن تنبثق الرؤية من نظرة ملحمية لتؤدي في النهاية إلى خلق أثر ملحمي.

الفنان الذي يفتقر إلى «الشجاعة» لا يستطيع أن يمتلك رؤية ملحمية وهو يعجز عن خلق أثر ملحمي جيد؛ فلا يستطيع مثلاً أن يجسّد ملحمة أبي الفضل العباس(ع) أو مسلم بن عقيل. ولو كان يتّصف ولو بالقليل من الشجاعة فقط لاستطاع إنتاج قدر يسير من الفن الملحمي أيضاً.

من أي نوعية كان غضب أمير المؤمنين(ع) وتألّمه في تلك القضية المشهورة التي انتُزع فيها حِجْل يهودية من قدمها؟ لم يكن تألّمه وتأثره بسبب الظلم والظلامة فحسب، بل كان بسبب الرضوخ للظلم وعدم المقاومة أمام العدو، لأنه(ع) كان قد سمع بأن الرجال لم يمنعوا الأعداء من النهب، بل راحوا يتوسلون إليهم كي «لا يضربوهم»! فقال سلام الله عليه: «فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيراً...». فإن رؤية الإمام علي(ع) تجاه هذا الظلم لم تكن بشدة رؤيته تجاه ذلك الرضوخ للظلم: «وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا مَا تَمْنَعُ مِنْهُ إلا بِالاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيراً...فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ» (الكافي/ج٥/ص٥) - (نهج البلاغة/ الخطبة ٢٧).

هذا هو الفرق بين رؤية أمير المؤمنين(ع) ورؤية الآخرين! إذن، مَن الذي يستطيع إنتاج الفن الملحمي؟ إنه الذي تشبَه رؤيتُه رؤية أمير المؤمنين(ع) في هذه القضية. وإلا فلا يُعتبر مجرد تصوير الظلامة من أي نوع كانت فنّاً ملحمياً لأن الناس تتألّم لكل مظلوم!

تختلف أنواع البكاء باختلاف عيارها!

إن البكاء على أبي عبد الله الحسين(ع) ذهب، لكنه لكل ذهب «عيار»! وأنواع البكاء تختلف باختلاف عيارها؛ فهناك ما هو هابط العيار وهناك ما هو عالي العيار. أنتم يا من تبكون من أجل السيدة زينب الكبرى (س) تأملوا في نوعية حرقة فؤاد هذه السيدة! أخشى أن تشبّهوا ذلك الشعور بالعلاقات الأخوية الاعتيادية بين الأخ والأخت. فإن كل أخت تفقد أخاها تتلوّع ألماً بالطبع لكن هذا أقل ارتباط نقيمه مع السيدة زينب(ع). فهل كانت القضية مقتصرة على هذا المستوى يا ترى؟ من أي نوع كان بكاء الإمام الحسين(ع) على أبي الفضل العباس(ع) حيث كانت الدموع تغطي وجهه الشريف وكان يمسحها بكمّ ردائه المبارك؟ أبوسعنا إدراك نوعية هذه الدموع؟ إن نمط هذا البكاء مجهول لنا. هذه الدموع هي مما يخلق الملاحم. إن نمط هذه الدموع هو الذي لا ينطفئ لهيبه ولا يخمد أبداً. لا بد أن نتعرف قليلاً على نوعية هذه الدموع. من أي جنس هو بكاء أبي عبد الله(ع)؟ ومن أي نوع هو بكاء السيدة زينب(ع) وجزعها؟ هذا البكاء وذلك الجزع كان بسبب انتهاك حرمة الحق، فالسيدة زينب(ع) لا تستطيع أن تحتمل ذلك، إنه صعب جداً عليها...



زاوية الرؤية

الحلقة السابعة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

آراء المرء تعكس مكنونات قلبه / نمط رؤية الإنسان يفضح رغباته الكامنة وأمراضه القلبية! / نزعات الإنسان تغير رؤيته فقد يرى البعوضة فيلاً أحيانا! / حين ترى الدولار عظيما لا تستطيع أن تفكر بـ"اقتصاد لا يعتمد على الدولار"!

وجهة نظرك أو زاوية رؤيتك تعكس ميولك وتوجهاتك الباطنية وتبيّنها بوضوح كما أنها موقع لمحاسبة النفس أيضا. تظهر نزعات الإنسان وميوله عبر نمط رؤيته للظواهر وتتبيّن رؤيته عبر أفعاله وسلوكياته. على سبيل المثال، تسويف التوبة من جانبك علامة على أن رؤيتك للـ"زمن" خاطئة فتظن أن سبعين عاما من العمر يعني فترة طويلة جدا!

الفنانون أكثر تأثيرا على رؤية الناس من العلماء

يكتسب الناس القَدْر والقيمة عند الله عزّ وجل حسب نمط رؤيتهم، وحين يرتفع شأنهم تتحسن رؤيتهم أيضا. وفي الدنيا أيضا حين يشعر الناس بلذة ما، يعود ٩٩ بالمئة من هذا الشعور إلى نمط رؤيتهم وواحد بالمئة فقط منه يتعلق بالجانب الفيزيولوجي للذة. يهتم الجميع بـ«الرؤية»، فالذين يريدون إدارة حياة الناس يحاولون التأثير على رؤيتهم، والعاملون في مجال الإعلام التجاري لبيع سلعهم يحاولون في الحقيقة أن يغيروا رؤية الناس من خلال عملية الدعاية والإعلام. وإن أكثر الأشخاص تأثيرا على رؤية الإنسان هم الفنانون، بل إنهم أشد أثرا عليها من العلماء.

علم المرء طوع ميوله!

الرؤية هي نتاج المزج بين توجهات الإنسان ومعلوماته. فالإنسان يعبّر عن ميوله من خلال رؤيته للظواهر والقضايا. وميول المرء تسخّر معلوماته ومعارفه. فالعلم والمعلومات مفيدة، بيد أن الانبهار بالعلم يعني إعطاءه وزنا أكثر مما يستحقه. فمن الخطأ أن تظنوا بأن العلم قادر لوحده على فعل الكثير، فالعلم طوع توجهات الإنسان وميوله! وهو، في مقام التشبيه، كالمسبحة، بينما ميولك ونزعاتك كالأنامل التي تحرك المسبحة كما تشاء. يقول البعض: «العلم يخلق الميول وعلينا أن نكتسب العلم أولا ثم نضبط ميولنا وفقا لمعلوماتنا»، لكن هذا الرأي يفتقر إلى الدقة بشدة، لأن مَن يتوجه في البداية إلى العلم، يتوجه إليه بدافع من رغبته بالعلم والمعرفة. إذن فهو في الحقيقة يتبع عواطفه ورغباته أيضا، لكن رغباته وميوله متّجهة نحو طلب العلم والمعرفة.

ميول المرء تغير "رؤيته" بحيث قد يرى البعوضة فيلا!

«الرؤية» هي حصيلة علم الإنسان ووعيه المتأثرَين بميوله وتوجهاته. وما يهمنا هو أن هذه الرؤية نفسها بأي الميول تتأثر؟ فالفنان مثلا، ولا سيما الفنان الذي يريد إنتاج الفن الملحمي، لا بد أن يكون شجاعا ولا تسكن قلبَه المخاوف بأنواعها؛ فلا يخاف من سوء السمعة، ولا يخشى فقدان الفرص، ولا يخاف الإحراج، ولا أمثال ذلك. لا بد أن يكون شجاعا كالعارف بالله، كالإنسان الموحد التقي المتحرر من جميع القيود. التوجهات تؤثر على رؤية الإنسان، فمن لم يكن شجاعا باسلا لا يستطيع أن يكتسب رؤية ملحمية، ومهما أجادوا في شرح الملحمة والشهادة والجهاد له، لا يتمكن من تصوّر المشهد الملحمي بشكل صحيح. إذن نزعات الإنسان (كالشجاعة أو الخوف) تعطي الإنسان «رؤية» وتغير وجهة نظره بحيث قد يرى البعوضة فيلا أحيانا!

حين ترى الدولار عظيما تعجز عن التفكير بـ"اقتصاد لا يعتمد على الدولار"

كان الإمام الخميني(ره) قد أمر برمي البارجة الأمريكية متى ما دخلت مياه الخليج الفارسي! وبعد فترة طويلة، صرّح أحد قواد الجيش الأمريكي قائلا إننا كنا سنُخرج جميع بارجاتنا من الخليج الفارسي من دون رجعة لو كان الإيرانيون قد رموا إحدى بارجاتنا بصاروخ واحد، لكنهم لم يرموا لحسن الحظ! حسنا، لماذا لم يرموا؟ لأن أمريكا عظُمتْ في أعينهم. وهذه «رؤية» وليست حقيقة. وفي القضايا الاقتصادية أيضا لا يمكن لمسؤولينا أن يتصوّروا اقتصادا لا يعتمد على الدولار ولا يستطيعون التفكير فيه لأن الدولار بات عظيما جدا في نظرهم، وهذا هو تأثير «الرؤية» وليس تأثير العلم أو الحقيقة. فالله سبحانه وتعالى قد وضع لنا حلولا للقضايا الاقتصادية حتى في خضم الأزمات، لكن الذي ينبغي أن يرى هذه الحلول لا يراها ولا تخطر له ببال لأن نظرته للأمور مختلفة. فمن كانت رؤيته غير صحيحة لا يكون مبدعا وبالنتيجة لا يتوصل إلى الحلول، ويرى البعوضة بحجم الفيل، ويهرب منها، ويظن أن هروبه من البعوضة أمر منطقي! وهذه الرؤية ناجمة عن توجهاته وميوله، ناجمة عن المخاوف التي يعيشها في قلبه.

تدلّ زاوية رؤية المرء ووجهة نظره على ميوله الكامنة!

ليست رؤية الإنسان وحدها، بل «بصيرته» أيضا هي حصيلة توجهاته وميوله. كان أبو الفضل العباس(ع) يتمتع بالبصيرة وهذه البصيرة بالتأكيد هي التي رفعت شأنه بين الشهداء إلى تلك الدرجة الرفيعة. وبصيرته كانت تُفصح عن ميوله الكامنة، تُخبر عن صفاء سريرته ومروءته وعرفانه بالجميل! فلا توجد أي نقطة سوداء في قلب العباس(ع). لا يستطيع المرء أن يعرف توجهاته إلا بصعوبة بالغة لأن قلب الإنسان معقد جدا. فماذا تفعل بميولك وتوجهاتك الكامنة؟ بصيرتك، ورؤيتك، ووجهة نظرك، وزاوية رؤيتك كلها تُظهر ميولك الخفية وتفضحها. والرؤية هي موقع لمحاسبة النفس. على سبيل المثال حين تسوّف التوبة ولا تهيئ الظروف المناسبة للتقرّب إلى الله تعالى فهذا مؤشر على أن رؤيتك «للزمن» رؤية خاطئة وتظن أن سبعين عاماً من العمر يعني الكثير! يمكن تحديد رؤية الإنسان من خلال أعماله وسلوكه، ومن خلال رؤية الإنسان يمكن تبيُّن ميوله وتوجهاته.

الله سبحانه أحيانا يوقع الإنسان في الخطأ عن عمد كي لا يعتمد على فهمه كثيرا!

عن أمير المؤمنين(ع) قوله: «مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ غَداً فَإِنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدا» (الجعفريات/ ص٢٤٠). وأمير المؤمنين(ع) خبير بالنفس وبالإنسان ولا يتكلم سُدى! فإن كنت ترغب في أن تعيش إلى الأبد فستؤَثّر هذه الرغبة على عملك، وبالنتيجة لن تكون قادرا على خلق أثر ملحمي. فلا يظهر أثر حب الدنيا وحب الخلود فيها على الإنسان في عجزه عن التضحية بنفسه فحسب، بل قد يكون من آثارها أن يأبى الإنسان العدول عن رأيه ووجهة نظره الخاطئة! أحيانا يوقع الله الإنسانَ عن عمد في الخطأ ليعترف قائلا: «الويل لي، ما أعظم زلّتي!» في الحقيقة ينبغي على الإنسان أن يقول: «أخطأتُ مرة أخرى، أنا خطّاء...» (وأن يعترف بجهله) كما يقول الإمام السجاد(ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي(ره) : «إرحَم عَبدَكَ الجاهِل»، هذا التعبير يعني أن الإنسان ينبغي أن لا يعتمد كثيرا على إدراكه وفهمه. لأمير المؤمنين(ع) أيضا تعبير آخر في المناجات الشعبانية حيث يقول: «أبلَيتُ شَبابِي في سَكرَةِ التَّباعُدِ مِنك»، أي إن رؤيتي مشوّهة إلى درجة أبدو فيها كالسُكارى!



آراء المرء تُظهر مكنونات قلبه

أحيانا يفرض الناس رقابة ذاتية على أنفسهم ولا يبوحون بآرائهم. وإن آراء المرء تُظهر مكنونات قلبه، وتبيّن ميوله وتوجهاته الكامنة، وأحيانا تكشف عن أمراضه القلبية أيضا. حين عزمَ أمير المؤمنين(ع) على التوجه إلى حرب الجمل قال له رجل من أصحابه: إنهم مسلمون فلماذا نحاربهم؟ فأجابه الإمام(ع) أنه ينبغي علينا محاربة المسلم الذي يخالف الشريعة. قال الرجل إنهم إما مؤمنون أو مسلمون فلماذا نشهَر سيوفنا في وجه المسلمين؟ فأراد أحد أصحاب الإمام(ع) أن يدخل في نقاش مع ذلك الرجل لكن الإمام منعه وأمرهم بتركه لأنه لا يُعلَم من أي ميل من ميوله الخفية صدر هذا الرأي فوصل به إلى هذه المرحلة؛ «... فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ إِنِّي أَكْرَهُ الْخُرُوجَ فِي هَذَا الْحَرْبِ لِئَلَّا أُصِيبَ مُؤْمِناً فَإِنْ أَعْطَيْتَنِي سَيْفاً يَعْرِفُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ قَاتَلْتُ مَعَكَ. وَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ أَنْتَ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَيَّ وَلَكِنِّي عَاهَدْتُ اللهَ أَنْ لَا أُقَاتِلَ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ... فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ(ع): لَيْسَ كُلُّ مَفْتُونٍ مُعاتَب أَلَسْتُمْ عَلَى بَيْعَتِي؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: انْصَرِفُوا فَسَيُغْنِي اللهُ تَعَالَى عَنْكُم» (الجمل والنصرة/ ص٩٥ و٩٦).

كان السيد سعادت بَرور(ره) من طلاب العلامة الطباطبائي(ره) البارزين الذي أوصى العلامةُ(ره) أن: ارجعوا إليه بعد وفاتي. شرح هذا السيد في كتاب له حول الظهور روايةً فجاء في شرحه أنه في زمن الظهور حين يُبدي بعض جنود صاحب الأمر(عج) رأيه يأمر الإمام(ع) بضرب عنقه! لماذا؟ لأن الإمام يعلم جيدا السبب الكامن وراء هذا الرأي ويعلم أي بلاء سيُنزله هذا الرجل بالمجتمع بعد حين بهذه التوجهات القلبية والآراء النابعة منها! فالإمام(ع) لا يُمهله ويأمر بإعدامه فورا.

لماذا لا يستطيع أحد بعد الظهور أن يرسّخ رأيه الباطل؟

يظهر الحق جليّا في زمن الظهور بحيث يميّز غالبية الناس الحق من الباطل ولذلك لا يستطيع أحد أن يتفوّه بكلام فارغ ويعرض رأيه الباطل على الجميع ويخدع الناس، لأنه يعلم جيدا أن الناس سترفض رأيه وتخالفه. إذن، فإن مَن يتجرأ على إبداء رأي باطل على الرغم من هذا الحجم الكبير من وضوح الحق يجب أن يُضرَب عنقه. هل يعرف الذين يُبدون رأيا باطلا ويتكلمون بكلام فارغ أنّ رأيهم باطل؟ نعم يعرفون ذلك، مثلما أن أشخاصا كأبي جهل كانوا يدركون بأنفسهم أحقية الرسول(ص). فقد قيل لأبي جهل أن يتيم عبد الله يدّعي النبوّة فهل هو صادق في ادعائه أم كاذب؟ فأجابهم أبو جهل بأن محمدا(ص) لا يكذب، فهو نبي بالتأكيد! قالوا له إذن هل آمنت به؟ قال كلا لم أؤمن. إنه إنسان طيب وأحب خُلقه و... لكنني لا استطيع أن أقبل به سيدا، فأنا نفسي سيد؛ «أن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل، فقال له: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد صلى الله عليه وآله، أصادق هو أم كاذب!... فقال له أبو جهل: ويحك! والله إنّ محمدا لصادق، وما كذب محمد قط؛ ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللواء والحجابة والسّقاية والنّدوة والنبوّة، ماذا يكون لسائر قريش!» (أمالي المرتضى/ج٢/ص ٢٦٥) و (الشفا للقاضي عياض/ج١/ ص٢٧٠).

إن أصبحت من أهل المعنى فستكون من أصحاب الرأي

لنسأل الله أن يجعلنا من أصحاب الرأي. فإن أراد سبحانه أن يجعلك من أصحاب الرأي فلا بد أن يطهّر قلبك تطهيرا. فإن أصبحت من أهل المعنى فستكون من أصحاب الرأي، وإن أصبحت من أصحاب الرأي فسيكون رأيك نفس رأي سيدك ومولاك. كان الحاج دولابي(ره) يقول: لطالما اتفق أني كنت أسمع كلاما من عارف ثم أسمع نفس الكلام من إنسان محترم آخر في مجلس آخر، ثم أُفاجأ إذ أرى أن الإمام(ره) أيضا يتحدث بنفس الحديث! كانت هذه الأحاديث والآراء قريبة جدا من بعضها البعض. فكان الحاج دولابي يقول إن هذه الآراء هي آراء صاحب العصر(عج) وهو الذي يجعل آراء هؤلاء الأشخاص متناغمة مع بعضها البعض.



زاوية الرؤية

الحلقة الثامنة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

ماذا نعمل للوصول إلى "الرؤية الصائبة"؟ الميول الحسنة تُلهمنا الرؤية الصائبة والميول السيئة تُلهمنا الرؤية الخاطئة! / طلب الحق ومقت الظلم يمنحنا رؤية صائبة / مَن يتخذ موقفا محايدا بين الحق والباطل سيُبتلى بالرؤية الخاطئة

يُقال: "لا تجعلوا ميولكم تؤثر في دراساتكم وتحليلاتكم العلمية"، لكن المقصود من هذه الميول هو الخاطئة منها فقط، فلا بد أن نجعل ميولنا الحسنة تؤثر في الدراسات العلمية، من قبيل طلب الحق. فإن كنا طالبين للحق فسنكتسب رؤية صائبة ولن نقع في الخطأ.

لا يمكن أن تكون رؤية المرء خارجة عن سيطرة ميوله

يقول البعض: «لا بد أن ندع الميول جانبا في الحوار العلمي!» بيد أن آراء الإنسان ورؤيته لا يمكن أن تكون خارجة عن سيطرة ميوله بكل تأكيد. فالرؤية الصائبة تابعة لميول الإنسان وتوجهاته. وبعض التوجهات ليس أنه لا ينبغي أن يُهمَل أثناء الدراسات المنطقية والعلمية، بل يجب أن يترك أثرا مطلوبا عليها أيضا. فنزعة «التفتيش عن الحق» مثلا نزعة قيّمة وإن لم تكن هذه النزعة مسيطرة على دراساتنا العلمية فسنقع في الخطأ. تتظاهر وسائل الإعلام الغربية بـ«الحياد» في بث المادة للمتلقّي لتطمئنه من صحة مصدر الخبر وتؤثر على أفكاره، وتتظاهر بأنها تعبر عن الحقيقة بشفافية وبهدف توعية المتلقّي فقط! إلا أنها غير محايدة على الإطلاق وتحاول الإيحاء برؤية خاصة للمتلقي.

هل ينبغي أن نكون "محايدين" للوصول إلى الحقيقة؟

هل يُعد الحياد وتجنّب الانحياز لأمر ما مدعاة للإطمئنان حتى لو كان بالنسبة للحق والحقيقة؟ يقول البعض حول دراسته لتاريخ أهل البيت(ع) «إننا ندرس الموضوع بمنتهى العلمية ودون تحيّز!» فلنفرض أنك لست من أنصار الحق ولا تريد أن تعرف ما إذا كان الحق مع علي(ع) أم مع معاوية، لكنك على كل حال باحث عن الحقيقة! فقل بصدق ما هي الحقيقة وماذا حدث؟ أحيانا يروي البعض التاريخ بأسلوب تضيع فيه الحقيقة بين الأحداث والوقائع المروية! فإن شئت أن تتخذ موقفاً حيادياً تماماً بين الحق والباطل وتقول «إن رؤيتنا غير متأثرة بأي مَيل خاص ولا نميل إلى أي جانب من الطرفين!» فلن تُعَد مصدرا موثوقا به لإبلاغ الرسالة!

من كان محايدا بين الحق والباطل ستكون رؤيته خاطئة للأمور

لابد أن نتجنب الموقف الحيادي بين الحق والباطل في الدراسات العلمية، فلا ينبغي أن نقول فيها «حاليا سنترك الدفاع عن الحق ونصرة المظلوم جانبا». فإن أصبح الإنسان محايدا بين الحق والباطل وفقدَ حساسيته تجاه المظلوم، فسيسلبه الله فهمه وسيرى جميع الظواهر برؤية خاطئة! فلو أحببتَ، مثلا، النظر في قضية مجازر مُسلمي ميانمار بحياد أفلا تكون ماقتًا لإراقة كل هذه الدماء البريئة؟! فإن اتّخذتَ حقًّا موقف الحياد تجاه هذه الجريمة فسوف لا أُنصتُ، من الآن فصاعدًا، لكلامك لأنك لستَ طالب حق! يقال: «إن لم تكن حياديًا فلن تجد الحقيقة!» هذا الكلام غير صحيح، بل إن بعض الميول الحسنة والأصيلة وبعض أشكال طلب الحق والبحث عن الحقيقة تفتح عقل الإنسان وتحسّن فهمه وإدراكه. فحين تهُمّ بالقيام بأمر علمي أو حين تريد أن تفهم بدقة فلا بد من أن تحدد موقفك من «الحق» منذ البداية.

في المجتمع الذي تلاشت فيه القيم من الطبيعي أن لا يصدر أحد بحق الآخر حكما!

يتخذ البعض موقفا محايدا تجاه الغرب، ويريد دراسة محاسن الحضارة الغربية ومساوئها، طلبا للحقيقة فقط ودون أن يتغلب على فكره أي توجّه معين. فيقول مثلا: من محاسن الغرب هي أن الناس لا يتدخلون في شؤون بعضهم البعض ولا يحكم أحدهم على الآخر وأمثال هذا الكلام. لكن الحقيقة هي أن هذا النمط من الرؤية للغرب ليس نتيجة الحياد بل هو حصيلة رؤية سطحية! إنّ من الطبيعي ألا يصدر أحد بحق الآخر حكما في مجتمع تلاشت فيه القيم وماتت العاطفة! على سبيل المثال حين يطلقون عنوان «المثلية الجنسية» على اللِواط والسِحاق ويطرحونها كنزعة من النزعات فسوف لا يكون لهم شأن بأي أحد كيفما كان! أما في المجتمع الديني الذي لم تتهدم فيه القيم فالإنجاز هو أن نتجنب إصدار الأحكام الخاطئة والسلبية بحق الآخرين، وهذا بالطبع أمر عسير للغاية لكن ينبغي أن نبلغ هذه المرحلة.

ماذا نعمل للوصول إلى "الرؤية الصائبة"؟ الميول الحسنة تلهمنا الرؤية الصائبة والميول السيئة تلهمنا الرؤية الخاطئة!

ماذا نعمل للحصول على رؤية صائبة؟ رؤية المرء هي حصيلة ميوله وتوجهاته، فالميول السيئة تلهم الإنسان رؤية خاطئة والميول الحسنة تلهمه الرؤية الحسنة الصحيحة. فأكثروا من توجّهكم للحق ليتحسّن فهمكم. فما يُقال من أن لا تسمحوا لميولكم وتوجهاتكم أن تؤثر على فهمكم وتحليلكم ورؤيتكم، فإن المقصود هو الخاطئ منها، إذ لا بد أن نجعل التوجهات الصحيحة تؤثر في ذلك. لا بد أن نجعل الميول الحسنة كالمطالبة بالحق ذات أثر في الدراسات العلمية. فإن كنا باحثين عن الحقيقة فسنكتسب رؤية صائبة ولن نقع في الأخطاء. في المجتمع الدولي، كل من يريد أن يدعي أنه طالب للحقيقة وناطق بها فإنه يعلن عن حياده، وهذا أمر خاطئ! فإن عليك أن تدافع عن العدل والإنسانية، عليك أن تناصر المظلوم وتمقت الظلم والظالم. فمن كان ميله إلى الحق ضعيفا فسيبتلى بالرؤية الخاطئة. أرسل الإمام الصادق(ع) بكتاب إلى خراسان ليدعو المسلمين الجاهلين بأمر أهل البيت(ع) إلى ولايتهم. فظهرت هناك ثلاث فئات: الفئة الأولى اشتملت على الأشخاص العاشقين للحق، وهؤلاء فهموا الحق بسرعة وتقبلوه. وأصحاب الفئة الثانية كانوا كارهين للحق وبالطبع رفضوه. أما الفئة الثالثة فضمّت الذين كانت رغبتهم في الحق ضعيفة ولم يكونوا من هواة الحق عن جد، فقالوا: «نحن لا نستطيع القبول ولا الرفض»، هؤلاء الأشخاص وقفوا في المنتصف بين الحق والباطل، وأعلنوا عن حيادهم ولذلك أخطأوا الرؤية.

من الذي يستطيع التحلّي بالبصيرة؟ مَن لا يفرّط في طلب الحق أبدًا

من الذي يستطيع التحلّي بالبصيرة؟ إنه الذي لا يفرّط في طلب الحق أبدًا ولا يضحّي بهذا الطلب بذريعة البحث عن الحقيقة. فمثل هذا الشخص يصل إلى الحقيقة. فإنّ مَن يتنكّر لطلب الحق بذريعة البحث عن الحقيقة والتظاهر بمظهر الحياد، فسيسلب الله منه العزة والشرف وسيُعدّ له العذاب في الآخرة أيضا. روي عن رسول الله(ص) قوله: «مَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيُحِبَّ أَهْلَ بَيْتِي» (مائة منقبة/ ص٨٤) وعنه(ص): «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَحَقَّقَ حُبَّنَا فِي قَلْبِهِ جَرَى يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِه» (المحاسن/ج١/ص٦١).

والحكمة تعني إنتاج العلم، تعني أنك تتمتع بالبصيرة وتفهم جميع الأمور. وفي الجانب الآخر من هذه المودّة هناك البغض، بغضُ أعدائهم. فإن كنت تبغض أعداء أهل البيت(ع) حقا فسيتحسن فهمك وستدرك الحقيقة.

حين تعرف الظلم وتتخذ موقفا ضده ستكتسب رؤية ملحمية!

من الذي يستطيع أن يكتسب رؤية ملحمية؟ حين تعرف الظلم وتتخذ موقفا ضده ستكتسب رؤية ملحمية. يتحدث البعض حول أمريكا أو قادتها السياسيين وكأنهم غير مجرمين! فإن أردتم حِدّة البصيرة ينبغي أن تجعلوا دماءكم تغلي قليلا ضد الظلم وتبغضوه! فبُغض الظلم يُنشِّط آلية في روح الإنسان تجعل رؤيته حادة وتقوّمها. وإن كان الوصول إلى الدرجات السامية من الميول الحسنة ك»عشق الحق» أمرًا صعبًا، فإن بغض الظلم ليس بشيء عسير! فليعكس صانعو الأفلام مثلا أنّه بأيّ ذنب ارتُكبتْ المجازر بحق أهالي سوريا والعراق وأفغانستان والبوسنة والهرسك؟ وما كان ذنب شعبنا ليقتلوا منه أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة؟ الإمام الخميني(ره) يعرّف الفن أساسا من خلال مواجهة الظلم، فهو يرى أن الفن يعني التشهير بالظلم، الفن يعني الدفاع عن المظلومين، ويعني إيقاظ الشعوب لتلمس قوتها وتثور... «الفن الجميل والطاهر هو ذلك الفن الذي يحطّم الرأسمالية الحديثة والشيوعية المصاصة للدماء، ويُبيد إسلام الرفاهية والترف، وإسلام الانتقائية، وإسلام التطبيع والذلّة، وإسلام المرفّهين المترفين، وخلاصة القول «الإسلام الأمريكي»» (صحيفة الإمام، ج٢١/ ص١٤٥) في بداية الثورة كان هناك كتابان يُستنسخان كثيرا وكان الثوار يتبادلونهما. الكتاب الأول كان حول تعذيب الجزائريين على يد الفرنسيين والكتاب الآخر حول جرائم أمريكا في فيتنام، بينما لم تكن لنا صلة بفيتنام ولا بالجزائر! لكن ثوّارنا كانوا يتبادلون هذه الكتب ويطالعونها لأنها كانت ضد الظلم.

مَقت الظلم يؤدي إلى التحلي بالرؤية الصائبة

روي عن الإمام الصادق(ع) قوله: «كَفَى الْمُؤْمِنَ مِنَ اللهِ نُصْرَةً أَنْ يَرَى عَدُوَّهُ يَعْمَلُ بِمَعَاصِي اللهِ» (صفات‌الشيعة/ ص٣٨)، فإنّ من لطف الله بك أن ترى أي جرائم وظلم يمارسه عدو الله بحقك! فلا تتبع خطاه وابغضه! من لم يمقُت الظلم من شباب وطننا في فترة الدراسة ومن خلال الكتب الدراسية، ولم يتعرف على ظالمي العالَم ولم ينشأ طالبَ حق، فمن المُحتمَل جدًا أنه سينجرف إلى مستنقع الفساد والفجور! إلا إذا أخذ الله بيده وحفظه. ويقع ذنب هؤلاء على عاتق من لم يربّهم على طلب الحق. علينا أن نشاهد الظلامات والجرائم التي تُرتكب وأن نكّن الحقد في قلوبنا تجاه الظَلَمة والمجرمين. روي عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «كَانَ رَجُلٌ شَيْخٌ نَاسِكٌ يَعْبُدُ اللهَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَيْنَما هُوَ يُصَلِّي وهُوَ فِي عِبَادَتِهِ، إِذْ بَصُرَ بِغُلَامَيْنِ صَبِيَّيْنِ قَدْ أَخَذَا دِيكاً وَهُمَا يَنْتِفَانِ رِيشَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَمْ يَنْهَهُمَا عَنْ ذَلِكَ. فَأَوْحَى اللهُ إِلَى الْأَرْضِ: أَنْ سِيخِي بِعَبْدِي. فَسَاخَتْ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَهْوِى فِى الدُّرْدُورِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ» (أمالي الطوسي/ ص٦٧٠). فالأرض، بحسب رأي الإمام(ع)، قد ابتلعت الرجل العابد فهوى في العذاب لأنه لم يقطع صلاته ويهبّ لإنقاذ ذلك الحيوان المسكين، لأنه لم يبال بظلم كائنٍ حي! أنتم تعلمون أن ترويج السفور في بلادنا هو من تصاميم أعدائنا فما أكثر الهجمات الإعلامية التي يشنّونها في هذا المجال عن طريق الإنترنت والفضائيات. حتى السفور في العالم المسيحي هو من مخططات الصهاينة، فلم يكن الأوروبيون ليصلوا إلى هذه المرحلة من التحلّل بأنفسهم. فمن الذي دمّر كيان العائلة في المجتمعات الأوروبية؟ الصهاينة وأرباب السلطة وظُلام العالم يركّزون اهتمامهم على هذه القضية. إن أردتم أن يقلّ تأثُّر الناس بالإعلام الصهيوني الخبيث، فأقيموا معرضا ضد الدواعش وجرائمهم وقولوا: «إن أمريكا هي التي صنعت هؤلاء!» واسمحوا لخفيفات الحجاب أيضا أن يأتينَ ويشاهِدن. ثم قولوا لهن: «إن هؤلاء الخبثاء يطالبونك بتخفيف حجابك والأمر يعود إليك في أن تصغين لكلامهم أو لا!»

وَسّعوا ثقافة مقارعة الظلم وانظروا إلى أي مدى ستزداد بصيرة الناس

إن أساس تديّن الإنسان هو في الحقيقة «مقارعة الظلم» وليس البراهين الكلامية المستخدمة في إثبات وجود الله! وبالطبع إن البراهين الكلامية جيدة في محلها وضرورية للرد على أصحاب الشبهات، لكن ينبغي على الإنسان الوقوف بوجه الظلم، فمحاربة الظلم هذه تجعل روح الإنسان نقية طاهرة، بينما عدم الإكتراث بالظلم يجعلها خبيثة شريرة! يقول نجل آية الله بهجت(ره): حين كانت الأنباء تعلن مثلا عن «وقوع انفجار في بغداد وقتل عشرة أو خمسة عشر من الأشخاص إثر ذلك...»، كان آية الله بهجت يبقى كمدا مهموما لعدة أيام. فهناك تناسب كبير بين العرفان ومحاربة الظلم! انشروا ثقافة مقارعة الظلم على نطاق واسع وانظروا إلى أي مدى ستزداد بصيرة الناس! عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «مَعَاشِرَ شِيعَتِنَا أَمَّا الْجَنَّةُ فَلَنْ تَفُوتَكُمْ سَرِيعاً كَانَ أَوْ بَطِيئاً وَلَكِنْ تَنَافَسُوا فِي الدَّرَجَاتِ» (التفسير المنسوب للإمام العسكري(ع)/ ص٢٠٤) فالإمام(ع) يطلب من الشيعة أن يهتموا بدرجاتهم في الجنة. فهل فكرت لحد الآن في أن تكون جارًا لأبي الفضل العباس(ع) في الجنة أم لا؟ هل أنت مستعد أن تغض النظر عن هذا الامتياز العظيم؟

ماذا نعمل لنعشق الدرجات العليا من الجنة؟ كونوا محاربين للظلم!

ماذا نعمل لنعشق الدرجات العليا من الجنة؟ كونوا محاربين للظلم، ابدؤوا من محاربة الظلم تحديدًا! البصيرة النافذة والرؤية العميقة الثاقبة ضرورية لفهم معنى درجات الجنة. وإن كنت تريد أن تكتسب هذه الرؤية الثاقبة فإنها بحاجة إلى سلامة القلب وإلى رغبة عارمة، وإنّ أرخص رغبة عارمة يمكن أن تنتابك هي «مقارعة الظلم» هذه بالذات. فكن مقاوما للظلم ولا تكن غير مبالٍ به. فليقولوا إن الإيرانيين لا يتجاهلون ظلمًا إذا صادفوه! وبالطبع الإنسان الأناني والراكِن إلى الدَّعَة والراحة واللذة لا يحب أن يتطرق إلى هذه المواضيع، بل ويتبرّم بها! هل يهمّنا كيف يمكن إنهاء هذه الظلامات والمجازر؟ إن أصحاب الإمام الحجة(عج) يقارعون الظلم ويجتثونه من جذوره! فهل حدّثتَ نفسَك في حياتك يومًا أن تجتثّ الظلم من جذوره؟ إن الله تعالى ينظر إلى قلب عبده ليرى شعورَه تجاه هذه الظلامات والجرائم التي تُرتكب في العالم، أيمُرّ عليها مرور الكرام أم يتألم ويتأثّر بسببها؟ هل تثور غيرته ويغلي الدم في عروقه أم لا؟

إننـا مهـما فكرنـا في سـبب اصطحـاب أبي عبـد الله الحسـين(ع) أهلَـه وأولادَه إلى كربلاء عجزنـا عن إيجاد جواب مقنع لذلك. هل كان لإثارة الغيرة في أنفسـنا حين صفعوهم؟ أم كان لإيقاظنا وإيصال رسـالة إلينا؟ نسـأل الله أن يجعلنا محاربين للظلم وعشـاقا للحق وأن يرزقنا البصيرة نتيجة مَقتنا للباطل ونصرتنا للحق.



زاوية الرؤية

الحلقة التاسعة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

ما هو السبيل الأفضل للوصول إلى الرؤية الصائبة؟ / التفكير بعاقبة الأمور يضبط رؤية الإنسان ويقوّمها/ إن لم تكن رؤيتك للصلاة جميلة فسوف لا تستمتع بها

لكي تضبط رؤيتك، اسأل نفسك هذا السؤال عند أي ظاهرة تواجهها: "وماذا بعد ذلك؟"، فإن ابتعت أفخم سيارة، لن تدوم متعتها وإثارتها أكثر من أسبوع إلى أقصى حد، وماذا بعد ذلك؟! حين تقول "وماذا بعد ذلك؟" ستتغير رؤيتك تجاه القضايا المهمة والممتعة بالنسبة لك ومن ثم ستبتهج بالأمور التي "لا تفنى".

يعيش الناس وفقا لنمط رؤيتهم وليس بمعلوماتهم!

لا يكفي أن نكون بصدد إزالة جهلنا وزيادة معلوماتنا فقط، بل لا بد أن ننتبه إلى رؤيتنا للظواهر فيما إذا كانت صائبة أم لا؟ لا بد أن نلاحظ ما هو تأويلنا النهائي للأمور؟ فإننا نعيش بانطباعاتنا وزوايا رؤيتنا وأنماط تأويلنا. يعيش الناس برؤاهم وليس بمعلوماتهم ومعارفهم! ينبغي للناس الحرص على انطباعاتهم بالنسبة للأشخاص والظواهر لأن الرؤية والانطباع قد يتشوهان بمرور الزمن. على سبيل المثال قد نكتسب بمرور الوقت انطباعا خاصا بالنسبة لموضوع «الصلاة» فلا نعود نراها ممتعة.

إن لم يكن نمط رؤيتنا للصلاة جميلا فسوف لا نستمتع بها

إن كانت نظرتك لثوب ما جميلة أو كان انطباعك عن زي خاص إيجابيا تماما فستشعر بشعور محبَّب وبلذة بعد ارتدائك ذلك الثوب، مع أنه لا يُشبع جوعك ولا يروي عطشك! حينها سوف لا يهمك حقًّا إن كان ذلك الثوب جديدا أم باليا، قبيحا أم جميلا! فلأن انطباعك عن الثوب لطيف جدا فستشعر بشعور بهيج حين ترتديه، وهذا الشعور البهيج هو نتيجة ذلك الانطباع وتلك الرؤية الإيجابية. والوضع مشابه بالنسبة للصلاة أيضا، فحينما لا يكون انطباعنا عن الصلاة أو نمط رؤيتنا لها جميلا فسوف لا نستمتع بها. لماذا لا نستمتع بالصلاة كثوب أنيق ومظهر مميّز؟! لماذا لا نشعر أحيانا بأي انطباع جميل من الوقوف في اتجاه القبلة؟! لأن نظرتنا للصلاة ليست نظرة صائبة وجميلة. يحاول الشيطان أن يجعل رؤيتنا للدنيا جميلة ويزيّنها في أعيننا: «لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ» (الحجر/٣٩). فالشيطان يُرينا كل الأمور الدنيوية جميلة، ولا يكتفي بذلك بل يزيّن للإنسان عمله القبيح أيضا. الإنسان نفسُه يعرف أن العمل الفلاني قبيح لكن ثمة مَن تصرَّف بعقله ليرى عمله القبيح جميلا!

ما هو نمط رؤيتك تجاه كثرة الطعام والمنام؟

علينا أن نراقب رؤيتنا وأن نهتم بنمط هذه الرؤية. وهذا الإهتمام من شأنه أن يؤثر في سلوكياتنا. فعلى سبيل المثال كيف هي نظرتنا لفَرْط الأكل؟ هل تشعر أنك ستشبه البهائم إن أفرطت في تناول الطعام؟ أو مثلا حين تكون رؤيتك أنك بكثرة النوم ستشبه الحيوان الفلاني، فإنك بالطبع ستكره كثرة النوم وستتغلب عليه. لماذا لا يحسّسنا نمط رؤيتنا بقبح بعض السلوكيات الذميمة؟ فما هي نظرتنا للغِيبة مثلا؟ تأمّلوا نظرة القرآن للغِيبة حيث يعبّر عنها بأكل لحم الأخ الميت. يقول تعالى: «وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» (الحجرات/١٢). روي أن رجلين نالا من الصحابي الكبير سلمان الفارسي(ره) «فقال أحدهما لصاحبه وقد غاب [سلمان] عنهما: إنه لو انتهى إلى بئر سميحة وهي المشهورة بكثرة الماء لغار ماؤها...فقال (ص): إني لأرى حُمرة اللحم في أفواهكما لاغتيابكما صاحبكما» (درة الناصحين/ ص٢٧٥). لا بد أن نلقّن أنفسنا هذا الموضوع باستمرار حتى نرى «الغيبة» «أكلا للحم البشري»! لا بد أن نصحّح وجهة نظرنا للقضايا والمواضيع المختلفة.

عليك بتعزيز رؤيتك الإيجابية قدر الإمكان/تلاوة القرآن ومراثي أهل البيت(ع) تضبط رؤيتنا

لا بد أن نتحكّم برؤيتنا وأن نُحوّل هذا الموضوع إلى هَمّ من همومنا. أحيانا يقدّر الله سبحانه مقدّراتنا وفقا لرؤيتنا، فإن كانت رؤيتك أن «الله سيعينني، ولن يتركني و...»، فسيعينك الله بكل تأكيد ولن يدعك وحيدا، أما إن كانت رؤيتك بالنسبة لله سلبية (كأن تقول مثلا إن الله لا يساعدني و..)، فسيُنزل الله بك البلاء نفسه الذي كنت تخشاه. عزّز رؤيتك الإيجابية ما استطعت. ومجالس أبي عبدالله الحسين(ع) والمراثي الحسينية تهبنا رؤية جيدة وتضبطها. تلاوة القرآن أيضا تلهمنا رؤية حسنة، فالله تعالى يقوّم رؤيتنا عبر القرآن الكريم. القرآن الكريم يهب المرء «نظرة خاصة» ويضبط «رؤيته»، فحين يضبط القرآن رؤيتك تجاه «الظلم» مثلا فسوف لا تستطيع أن تسكت على ظلم. يقول تعالى في الذكر الحكيم: «مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً» (المائدة/٣٢)، أي إن قتل إنسان واحد يعادل قتل جميع الناس. فإن كانت نظرتك كنظرة القرآن الكريم فستكره الخبث والجريمة.

انظر من الذي يريد تغيير رؤيتك؟ / قد يغيّر فلم رؤيتك

الملاحظة الأخرى في هذا المجال هي أن تأخذوا جانب الحذر لتعرفوا من الذي يريد تغيير رؤيتكم؟ علينا أن نحافظ على رؤيتنا ولا نسمح لأحد بأن يغيّرها ويفسدها. من الذي يرمي إلى تغيير رؤيتنا؟ قد يغيّر فلم رؤيتنا، فمثلا فلم عن تاريخ الإسلام بإمكانه أن يغيّر انطباعنا وتصورنا عن شخصية تاريخية دون أن نشعر بهذا التغيير، الانطباع الذي حصلنا عليه بعد دراسات مكثَّفة. وأحيانا محاضرة من شأنها أن تشوّه رؤيتنا فعلينا إذن أن نَحذَر التهويل والتهوين.

علينا أن نَحذَر تأثير أهواء الآخرين وأذواقهم على رؤيتنا

لنحترس من أن يكون لأهواء الآخرين وأذواقهم ونفسياتهم أثر في تغيير رؤيتنا. لا ينبغي أن يتعلق الفؤاد بأي فلم أو حديث! لا بد أن تكون أنت من أصحاب المعنى وتختار الرؤية الصائبة من بين ما يُعرض عليك. جاء في الرواية: «مَنْ أَصْغى إِلى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَه» (الكافي/ ج٦/ ص٤٣٤). فما هو المنتج الثقافي الذي تتلقاه؟ إن لم تكن حذرًا وتمتلك القدرة على التحليل فستصبح عبده. لنسأل الله سبحانه أن يجعل في طريقنا مَن يمنحنا أفضل الرؤى وأن يزيح عن سبيلنا الذين يشوّهون رؤيتنا. لا تعاشر الأشخاص الذين لا يتمتعون برؤية إيجابية تجاه الظواهر الإيجابية فأصحاب الرؤى السلبية يفسدون رؤيتك. علينا أن نسيطر على جميع الرؤى المنتقلة لنا وأن نحافظ على رؤيتنا ونخطط لها.

الإعلام ليس له تأثير على رؤية الإنسان بقدر "التفكير"!

إن ما له تأثير أكبر من تأثير وسائل الإعلام والدعاية في اكتساب الرؤية الجيدة هو «التفكير». فلا يترك الإعلام على رؤية المرء من البصمات كما يترك التفكير! بل حتى الإعلام لا بد أن يُرَغِّبنا في التفكير. على سبيل المثال إن دفعَتنا محاضرة إلى التفكير وأوصلَتنا التفكير إلى نتيجة فإنها محاضرة جيدة. القرآن الكريم هو الآخر يرغِّب الإنسان في التفكير والتأمّل وهو قد نزل في الحقيقة خطابًا لـ»أولي الألباب». لاحظوا كَم أوصى القرآن بـ»التدبّر» و»التفكير»! من المواضيع المهمة للتفكير هو ما يدور حول الخلود والعاقبة ونتائج الحياة على المدى البعيد، وهذا النوع من التفكير يضبط رؤية الإنسان إلى حد كبير.

ما هو أفضل سبيل للوصول إلى الرؤية الصائبة؟/ التفكير بالعاقبة يضبط رؤية المرء ويقوّمها

ما هو أفضل طريق ليكتسب المرء رؤية جميلة صحيحة؟ إن على مَن يريد التزوُّد برؤية صحيحة وجميلة أن يتحلى ببُعد النظر وأن يأخذ بعين الاعتبار عاقبة الأمور، أي أن يفكر في المستقبل البعيد والنتائج البعيدة ويتأمل في الآخرة والموت والحياة بعد الموت. عند كل ألم تعانيه تأمل في نهايته، وهذا التأمل سيخفّف من حدة الألم. ولدى تذوّق كل نشوة ولذة أيضا فكّر في نهايتها وهذا التفكير سيقلّل من حلاوة تلك اللذة ولا يسمح لك بأن تنغمس فيها كثيرا. فالتفكير بالآخرة وبعاقبة كل عمل يضبط رؤية الإنسان ويلهمه رؤية دقيقة وصائبة.

الذين يفكرون في عاقبة الأمور ينظرون إلى كل شيء نظرة سليمة

الذين يفكرون في عاقبة الأمور ينظرون إلى كل شيء نظرة سليمة. وكل من لا يرمي بطَرْفه إلى المدى البعيد فإنه سيقوم بتحليل جميع القضايا بنظرة طفولية ولن يكتسب رؤية دقيقة للظواهر والأشخاص والأقوال والأحداث. هناك توصية في الروايات بتلاوة سورة الواقعة في كل ليلة، لأن هذه السورة تأخذ بأفكارك إلى القيامة وإلى نهاية المطاف، وتصحّح جميع رؤاك الخاطئة، ولذلك ستكون مستعدا صباح اليوم التالي لترى جميع الأمور برؤية صائبة. تأمل كثيرا في الآخرة وفي عواقب الأمور، وفكّر في نهاية كل شيء، ثم تدبّر في أواخر عمرك، ثم في خاتمة حياتك، وفي صحراء المحشر والقيامة ونهاية القيامة! إن فكّرت في هذه القضايا فستنضبط رؤيتك تجاه جميع الأمور شيئًا فشيئًا، فبعض القضايا التي كانت بعينك قبيحة، ستبدو جميلة، وبعض الأمور التي كنت تتصور أنها جميلة ستبدو قبيحة في نظرك.

من أجل ضبط رؤيتك اسأل نفسك عند كل قضية تواجهها: "ثم ماذا؟"

من أجل ضبط رؤيتك، لا بد أن تسأل نفسك هذا السؤال عند مواجهتك لأي قضية أو موضوع: «ثم ماذا؟» أفخم سيارة تشتريها لا تزيد متعتُها وإثارتها أكثر من أسبوع، وماذا بعد ذلك؟ افترض أنك تفوهت بكلام بذيء ضد شخص كنت مستاءً منه، ثم ماذا؟ أو أنك ستعيش مثلا سبعين عاما، وماذا بعد ذلك؟ حين تقول: «وماذا بعد ذلك؟» ستتغير رؤيتك للأمور التي كانت مهمة وممتعة بالنسبة لك وستصبح مصداق هذه الرواية: «قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُول» (نهج البلاغة/ الخطبة١٩٣)، أي إنك ستفرح بالأمور الخالدة التي لا تزول ولا تفنى وهي فقط ستكون قرة عينك وسبب سرورك وابتهاجك. جاء في الحديث الشريف: «أَعْقَلُ النَّاسِ أَنْظَرُهُمْ فِي الْعَوَاقِب» (غررالحكم/ ص٢١٧)، فإن كنت تفكر بعاقبة الأمور فستخطر ببالك حين القيام بأي عمل هذه العبارة: «وماذا بعد ذلك؟» وعندها سوف لا ترتكب الذنوب بذريعة كسب الوجاهة والاعتبار ومال الدنيا وأمثال ذلك. كان الإمام الخميني(ره) في طريقه إلى ايران بعد خمسة عشر عاما من التهجير وقد كان على أعتاب الانتصار والقوة، حين سأله صحفي: «ما هو شعورك الآن؟» فأجابه الإمام أنه «ليس لدي شعور خاص». لم تكن هذه القضايا لتهز الإمام. وعند استشهاد اثنين وسبعين شهيدًا (آية الله بهشتي وأصحابه) جاء رجال الدولة لمواساة الإمام لكنه كان هو الذي يواسيهم! شخصية مثل شخصية الإمام الخميني(ره) التي لا تهتم بالكثير من القضايا كان صراخها يعلو في مواطن خاصة، فانظروا متى كان يصرخ الإمام؟ اضبطوا رؤيتكم مع هذا الإمام، وتشبَّهوا به حتى يشابه تفكيرُكم تفكيرَه وترون العالم كما يراه.

طالعوا نهج البلاغة ليلهمكم الإمام علي(ع) الرؤية الصحيحة

يدرّسون أولادَنا الرياضيات ويقولون «نريد أن يتربى عقلهم على المنطق»، حسنا دعوهم يطالعوا نهج البلاغة أيضا ليلهمهم أمير المؤمنين(ع) النظرة الصحيحة. إن هندسة نهج البلاغة تفوق التصور. فكلام أمير المؤمنين(ع) الدقيق والمُتقَن هو حصيلة رؤيته الدقيقة والثاقبة. ومن كلامه(ع): «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِم» (نهج البلاغة / الخطبة ١٩٣).

أي إن الله عظيم في أفئدة الصالحين والدنيا حقيرة في أعينهم، فهي لم تدخل أبدا في أفئدتهم ليقارنوا بين الدنيا وبين غيرها في قلوبهم، ولذلك يقول(ع) إن الدنيا حقيرة في أعينهم وليس في قلوبهم. أمير المؤمنين(ع) يعطينا النمط السليم للرؤية. يروى عنه(ع) في خطبة أخرى: «غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ» (نهج‌البلاغة/ الخطبة ٣٢)؛ أي إن ذِكرَ المحلِّ الذي سيرجعون إليه هو الذي جعلهم يغضّون أبصارهم.

ما هو سبب تكرار بعض الآيات حول القيامة والمعاد؟

تأملوا كثيرا في عاقبة الأمور وفي الآخرة. زوروا الأموات وأهل القبور. اذهبوا لزيارة الشهداء، فالمقابر تجعل رؤية الإنسان إلى الدنيا دقيقة وتجعله يفكر بالعاقبة. التفكير بالعاقبة يغير نظرة الإنسان للشهادة بحيث يغدو طالبا للشهادة وتصبح الحياة من دونها عارا له. لتكن من أهل القيامة! فثلث آيات القرآن هي حول القيامة والمعاد والجنة والنار، والتكرار ملحوظ جدا في هذه الآيات. يتبيّن من هذا أن القرآن يريد التأثير على قلبك ويريد تلقينك. الله وأولياؤه فقط يحق لهم تلقيننا بشيء والتأثير علينا. يقول تعالى في مستهل القرآن الكريم: «ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ» (البقرة/٢) أي إن هذا الكتاب يهدي «المتقين» فقط ولا يؤثّر على كل أحد. والمقصود من المتقي في هذه الآية ليس هو من بلغ أسمى درجات التقوى، بل المقصود هو التقوى التي ألهمها الله سبحانه وتعالى لنفس الإنسان والتي عبّر عنها في هذه الآية الكريمة: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» (الشمس/٨)، فالمراد في الحقيقة هو نوع من التقوى الفكرية. لنسأل الله تعالى أن يجعل رؤيتنا لآيات القرآن جميلة لنصل إلى كُنهِها. وبعد ذلك سيقوّم القرآن رؤيتنا لجميع الأمور. تأملوا في عاقبة الدنيا، تأملوا في ظهور صاحب العصر(عج) والدولة المهدوية، وستخطف أفئدتكم شيئا فشيئا. مَن يفكّر في العالم الذي سيبنيه صاحب الزمان(عج) فسوف لا تعود حضارة الغرب ذات قيمة لديه. وحقيقةً بأي عشق يعيش الإنسان غير الثوري؟ وما الذي يسليه ويثيره في حياته؟ وهل من الممكن أن تكون مهدويا دون أن تكون ثوريا؟!



زاوية الرؤية

الحلقة العاشرة

الزمان: محرم 1439هـ /2017م

المكان: طهران، جامعة الفنون

استراتيجيتان مهمتان للوصول إلى الرؤية الصحيحة الثاقبة / الهوى وحب الدنيا يسلبان بصيرة الإنسان

إحدى الاستراتيجيات المهمة للتحلي بالرؤية الصائبة هي أن نطلب من الله عز وجل أن يرينا حقائق الكون كما هي، وأن يرينا الباطل بحيث ندرك أنه باطل! أما الاستراتيجية الأخرى فهي أن لا نتّبع الهوى وأن نخالفه. فما إن تَمِلْ قيد أنملة صوب هوى النفس حتى تتشوه رؤيتك الصائبة والملحمية.

جزء من نمط رؤيتنا تابع لـ"تفكيرنا ورؤيتنا المستقبلية"

إن جـزءًا مـن رؤيـة الإنسـان إلى الدنيـا وإلى ظواهـر العـالم والسـلوكيات الحسـنة والسـيئة يعـود إلى إرادة اللـه سـبحانه وتعـالى، بيـد أن جـزءًا آخـر مـن نمـط رؤيتنـا إلى الدنيـا ومظاهرهـا يعـود إلى قـدرة تفكيرنـا ورؤيتنـا المسـتقبلية (وقـد تطرقنـا إلى هـذا الموضـوع في المحـاضرات السـابقة)، لكننـا لا نعيـش لوحدنـا بـل إننـا نتعامـل مـع اللـه تعـالى في كل لحظـة. لا بـد أن يكـون الطفـل تحـت رعايـة الوالديـن وقريبـا منهـما حتـى لـو كان منهمـكا باللعب والمـرح، لأنه يجهـل الكثـير مـن الأمـور. ونحـن غارقـون في أحضـان الرب أكثر مـن الطفـل في أحضان والديه، فلا يسـمح اللـه لنـا بالقيـام بالكثـير مـن الأعـمال. إذ لربما يخطر ببالـك مثلا أن تأتي بسـلوك يؤذي الآخريـن، لكن الله يمنعـك مـن ذلـك لأنـه يرى أنه لا يجدر بك أن تقـوم بذلك التصرف غير اللائق لاتصافك بالحسـنة الفلانية!

الإنسان ليس مجبرا لكنه غير مخيَّر أيضا ليفعل كل شيء!

الإنسـان ليـس حـرًّا ليقـترف أي ذنـب. فمثـلا أنـت تريـد الآن أن تشـتم شـخصا مـا، لكـن اللـه يـرى أن ذلـك الشـخص لا يسـتحق أن يتـذوّق مـرارة هـذه الشـتيمة الآن، فيمنعـك بطريقـة مـا ولا يسـمح لـك بـأن تشـتم! نحـن لسـنا أحـرارا لنفعـل مـا نشـاء، لكننـا لسـنا مجبريـن أيضـا: «لَا جَـبْرَ وَلَا تَفْوِيـضَ بَـلْ أَمْـرٌ بَيْـنَ أَمْرَيْـن» (عيـون أخبـار الرضـا(ع)/ ج١/ ص١٢٤). فاللـه سـبحانه مـن خـلال تقديـرات وحسـابات خاصـة يسـمح لعبـاده بالقيـام ببعـض الأعـمال. مسـتحيل أن نسـتطيع الحيـاة بـدون اللـه حتـى للحظـة واحـدة! أشـخاص كصـدام وهتلـر أيضـا لم يتمكنـوا مـن العيـش بـدون اللـه لحظـة واحـدة.

إن اللـه عـزّ وجـل يفتـح السـبيل أمـام عبـاده الصالحـين ويسـمح لهـم بالقيـام بالأعـمال الحسـنة أكثر مـن باقـي العبـاد، فقـد كان الإمـام الخمينـي(ره) يقـول: إننـي كنـت أشـعر منـذ بدايـات الثـورة أن هنـاك شـخصًا آخـر يسـيّر الأمـور! واللـه تعـالى في القـرآن الكريـم ينسـب أحـوال العبـاد إلى ذاتـه فيقـول مثـلا إني أهـدي العبـد: «وَاللـهُ يَهْـدي مَـنْ يَشـاءُ» (البقـرة/٢١٣). أو يذكـر في آيـات أخـرى أنـه هـو الـذي يجعـل عبـدا بصـيرا وآخـر أعمـى: «أُولئِـكَ الَّذيـنَ لَعَنَهُـمُ اللـهُ فَأَصَمَّهُـمْ وَأَعْمـى أَبْصارَهُـمْ» (محمـد/٢٣). وهـذه النسـبة إلى اللـه نسـبة حقيقيـة فهـو تعـالى يتغمدنـا بحمايتـه في كل لحظـة.

طلب العون من الله تعالى هو استراتيجية للحصول على الرؤية الصائبة

لا بـد أن نطلـب مـن البـاري عـزّ وجـل أن يرزقنـا زاويـة الرؤيـة التـي يحبهـا ويرضاهـا، وقـد ورد هـذا الدعـاء عـن نبـي الإسـلام(ص) في كتـاب «مصبـاح الأنـس» الشريـف: «اللَّهُـمَّ أَرِنَـا الْحَقَائِـقَ كَـمَا هِـيَ» (مصبـاح الأنـس/ ص٢٢٠). إن اللـه يعتنـي برؤيـة عبـاده كثـيرا، وبحسـب الروايـة فإنـه عـزّ وجـل لا يجعـل المؤمـن يسـتيقن بالباطـل أبـدا، كـما لا يجعـل الكافـر أو المنافـق يسـتيقن بالحـق: «أَبَى اللـهُ أَنْ يَجْعَـلَ الْحَـقَّ فِـى قَلْـبِ الْمُؤْمِـنِ بَاطِـلًا لَا شَـكَ فِيـهِ وَأَبَى اللـهُ أَنْ يَجْعَـلَ الْبَاطِـلَ فِي قَلْـبِ الْكَافِـرِ الْمُخَالِـفِ حَقًّـا لَا شَـكَ فِيـه» (المحاسـن/ ج١/ ص٢٧٧). كـما جـاء في روايـة أخـرى: «لا يَسـتَيقِنُ القلبُ أنَّ الحـقَّ باطـلٌ أبـدًا ولا يَسـتَيقِنُ أنَّ الباطـلَ حـقٌّ أبـدًا» (تفسـير العيـاشي/ج٢/ص٥٣) الاسـتراتيجية المهمـة جـدا لاكتسـابنا رؤيـة ثاقبـة وملحميـة تمكننـا مـن خلـق الفـن الملحمـي هـي أن ندعـو اللـه ليرينـا الحـق وحقائـق العـالم كـما هـي، ويرينـا الباطـل بشـكل يثـير الحميّـة في نفوسـنا ونفهـم أنـه باطـل!

من خلال الرؤية الصحيحة نستطيع أن نميّز "بين عملين صالحين أيهما أفضل؟"

إن الله سبحانه وتعالى لا يكتفي بأن يرينا الحق والباطل، بل يتلطّف علينا نحن عبيده تلطُّفًا آخر فيرينا أي الأعمال الصالحة أفضل من غيرها وأي الأعمال السيئة أسوأ. يتذرّع الكثير بكلام صائب لتبرير فسادهم! كأن يأتوا بذريعة حسنة لتبرير الغيبة والشتم والغضب والظلم، وذريعتهم صحيحة لا ريب فيها، بيد أنه لا ينبغي لهم الآن أن ينظروا إلى هذا الكلام الصحيح، بل إلى كلام صحيح آخر، لكنهم يعمون عن ذلك الكلام الصائب والأهم! تماما كالخوارج الذين تمسكوا بكلام حسن وهو «لا حكم إلا لله» ووقفوا في وجه الإمام علي(ع). لنسأل الله أن يضبط رؤيتنا عند المقارنة بين عملين صالحين أو طالحين.

طالعوا المجلد رقم ٢١ من كتاب "صحيفة الإمام" لتتعرفوا على نمط رؤية الإمام(ره)

يوصي الكبار من رجال الدين والعلماء بمطالعة المجلد رقم ٢١ من كتاب صحيفة الإمام(ره) للتعرف على رؤية سماحة الإمام(ره)، فمن المهم جدا أن نعرف مقدار اهتمام الإمام(ره) بمختلف القضايا والقيمة التي يوليها لها. يجب أن نعلم ما هو مستوى سوء الأمر السيء وحُسن الأمر الحَسن في نظر الإمام(ره)؟ التعبئة الشعبية خطوة جيدة، والثورة جيدة، وظهور صاحب العصر(عج) أيضا أمر حسَن، ...الخ لكن ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار كيف كان سماحة الإمام الخميني(ره) ينظر إلى جميع هذه الأمور جنبا إلى جنب. علينا أن نكتشف تلك النظرة ونمضي في ذلك الاتجاه. بعض الأشخاص لم يكتسبوا رؤية سماحته حتى في زمن حياته وكانوا ينظرون إلى أمريكا مثلا باعتبارها «دولة عندها خلافات مع بلادنا حاليا، لكن يمكن التفاوض معها»! لكن نظرة الإمام(ره) كانت مختلفة، فقد كان سماحته منذ البداية يريد أن يجتثّ النظام الأمريكي السفاح. علينا أن نحتفظ بالرؤية الملحمية التي تعلمناها من سماحة الإمام الخميني(ره) حتى زمن الظهور وفتح العالم (على يد صاحب الزمان(عج)). فإن هدأنا وانتهى اضطرابنا وجزَعُنا فهذا يعني أننا قد افتقدنا رؤيتنا الملحمية الثورية.

قبـل أن ينتـشر مصطلـح «القريــة العالميــة» في أرجـاء المعمــورة، كان الإمـام الخمينــي(ره) قـد طـرح هــذا المصطلـح بتعابـير مختلفـة، فـكان يقـول إن علينـا أن نـأتي بمختـار هــذه القريـة وهـو صاحـب العـصر والزمان(عـج)، وعلينـا أن نعمّرهـا، فـلا يمكـن أن نعمّـر بيتـا ونـترك باقـي البيـوت خربـة. هـذه كانـت رؤيـة الإمـام(ره). لكـن كان ثمـة أشـخاص يقولـون إن العـالم قـد تحـوّل اليـوم إلى قريـة وعلينـا أن نسـلّم أمرنـا وننصهـر في بوتقـة هـذه القريـة العالميـة!

لتقويم رؤيتنا علينا أحيانا أن نجعل أنفسنا في أجواء أفضل

كيـف كانـت نظـرة الإمـام(ره) إلى مفاهيـم الولايـة وولايـة الفقيـه؟ فهـل يكفـي أن نقـول إن الولايـة جيـدة؟ أو هـل يكفـي أن نذعـن بـأن الولايـة ضروريـة؟ وهـل يكفـي أن نسـتنكر المظاهـرات التـي تخـرج ضـد النظـام (الإسـلامي)؟ أحيانـا ينبغـي أن نجعـل أنفسـنا في أجـواء الثـورة أو الدفـاع المقـدس لنـدرك نظـرة الإمـام(ره). إن أردنـا أن تتميـز نظرتنـا بالدقـة والموضوعيـة لأمـور كالأربعـين والظهـور والمقاومـة في المنطقـة وقضيـة الإمـام الحسـين(ع)، فعلينـا أن نخطـو الخطـى في أجـواء الأربعـين. فقـد نضطـر إلى تغيـير أجوائنـا تـارةً أو التفكـير بعمـق تـارةً أخـرى مـن أجـل أن تتميـز رؤيتنـا بالدقـة.

كان البعض يقول: لم يكن الإمام الحسين(ع) يعلم أنه سيستشهد!

قبـل الثـورة الإسـلامية تـم تأليـف كتـاب حـول الإمـام الحسـين(ع) وكان المؤلـف يريـد إثبـات أنّ الإمـام(ع) لم يكـن يعلـم أنـه سيستشـهد، لكنـه مـضى في سـبيله واستشـهد بالصدفـة! هـذا الموضـوع يقلّـل مـن الجانـب الملحمـي لكربـلاء فتصبـح القضيـة عاديـة للمتلقـي وربمـا يتأسـف أيضـا مـن أنـه «لمـاذا حـدث هـذا الخطـأ واستشـهد الإمـام الحسـين(ع) بالصدفـة؟!» ربمـا لـو تريـث هـذا المؤلـف قليـلا لَشـاهد بعـد انتصـار الثـورة أن كثـيرا مـن شـهداء الدفـاع المقـدس كانـوا قـد كتبـوا لأمهاتـم أو ذويهـم طريقـة شـهادتهم بتفاصيلهـا، فـكان غالبيتهـم يعلمـون بموعـد استشـهادهم وكيفيتـه. فـإن كان هـؤلاء الشـهداء يعلمـون ذلـك فهـل يُعقـل أن يكـون الإمـام الحسـين(ع) لا يعلـم؟!

ومؤلـف هـذا الكتـاب كان ينتمـي إلى الفرقـة التـي كانـت تقتـل قُـرّاء المراثي بدعـوى أنهم يمنعـون الثورة، فهـم يعملـون عـلى إبـكاء النـاس فيُنَفّـس النـاس عـن أنفسـهم همومَهـم فيقعـدون عـن الثـورة! هكـذا كانـت نظرتهـم لقُـرّاء المـراثي! بينـما كان الإمـام الخمينـي(ره) يرى أن ما ذَكـره أهل البيـت(ع) من الثواب العظيـم لدمعـة واحـدة تُسـكب في سـبيلهم، كان منـذ البدايـة مخططـا سياسـيا ليثـور النـاس بعـد ذلـك! «لمـاذ خصّـص اللـه تبـارك وتعالى هـذا الثـواب الجزيل للبكاء، بـل للدمعة الواحـدة، بل وحتـى للتباكي؟.... المهـم في هـذه القضيـة هـو الجانـب السـياسي الـذي خطّـط لـه أئمتنـا في صـدر الإسـلام ليبقـى إلى النهاية وهـو الاجتـماع تحـت ظـل راية واحدة وفكـرة موحّـدة...» (صحيفة الإمـام/ ج١٦/ ص٣٤٤). وقد شـاهدنا عمليـا أن مَـن كان يبـكي أكـثر في مجالـس أهل البيت(ع) كان - بالمناسـبة - أكثر تطوُّعًا للشـهادة من غيره!

إن لم تحافظ على رؤيتك الملحمية فستخسرها

مـن أي زاويـة ننظـر إلى العـالم؟ علينـا أن ننتبـه إلى ذلـك. فـإن غفلنـا لحظـة واحـدة فسـنفتقد رؤيتنـا الحماسـية عـلى الرغـم مـن التزامنـا العميـق بالديـن وجميـع الأفـكار الحسـنة التـي نحملهـا في أذهاننـا. وإن لم نلتـزم برعايـة نظرتنـا الملحميـة فسـنجد أنفسـنا فجـأة قـد أصابنا المَلَـل من كوننا ثوريين وسـنخسر رؤيتنـا الملحميـة. جـاء في الروايـة أن رجـلا سـأل الإمـام الصـادق(ع): لِمَـن الثـواب الأكـبر، لأصحابـك أنت الإمـام الغريـب أم لأصحـاب آخـر إمـام في عـصر الظهـور؟ «قُلْـتُ لِأَبِـی عَبْـدِ اللـهِ(ع): الْعِبَـادَةُ مَـعَ الْإِمَامِ مِنْكُـمُ الْمُسْـتَتِرِ فِي الـسِّرِّ فِي دَوْلَـةِ الْبَاطِـلِ أَفْضَـلُ أَمِ الْعِبَـادَةُ فِـی ظُهُـورِ الْحَـقِّ وَدَوْلَتِـهِ مَـعَ الْإِمَـامِ الظَّاهِرِ مِنْكُـمْ؟» (كمالالديـن/ ج٢/ ص٦٤٥) فأكّـد لـه الإمـام(ع) أنـه واضـح أن ثوابكـم أكـبر، لأن إمامكم غريب وأنتـم تتعرضـون لـلأذى والاسـتهزاء والازدراء، وقـد ضيّقـوا الخنـاق عليكـم وسـلبوا حرياتكـم: «عِبَادَتُكُـمْ فِي الـسِّرِّ مَـعَ إِمَامِكُـمُ الْمُسْـتَتِرِ فِي دَوْلَـةِ الْبَاطِـلِ أَفْضَـلُ... إِنَّكُـم... تَنْظُـرُونَ إِلَى حَـقِّ إِمَامِكُـمْ وَحَقِّكُـمْ فِي أَيْـدِي الظَّلَمَـةِ قَـدْ مَنَعُوكُـمْ ذَلِـكَ وَاضْطَرُّوكُـمْ إِلَى حَـرْثِ الدُّنْيَـا وَطَلَـبِ الْمَعَـاشِ مَـعَ الصَّبْرِ عَـلَى دِينِكُـمْ وَعِبَادَتِكُـمْ وَطَاعَـةِ إِمَامِكُـمْ وَالْخَـوْفِ مِنْ عَدُوِّكُمْ فَبِذَلِـكَ ضَاعَفَ اللهُ أَعْمَالَكُمْ» (المصدر نفسـه/ ص٦٤٦).

وحينـذاك طـرأتْ لحظـة مـن الغفلـة وافتقـاد الـروح الثوريـة عـلى الرجـل، فقـال للإمـام(ع): إذاً لمـاذا ندعـو للظهـور؟! لمـاذا ندعـو اللـه أن يعجّـل بزمـن الظهـور ونحـن الآن نفـوز بثـواب أكـبر؟ «قَـالَ: فَقُلْتُ لَـهُ: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ فَـمَا نَتَمَنَّـى إِذاً أَنْ نَكُـونَ مِـنْ أَصْحَـابِ الْإِمَـامِ الْقَائِـمِ فِي ظُهُـورِ الْحَـقِّ وَنَحْـنُ الْيَـوْمَ فِي إِمَامَتِـكَ وَطَاعَتِـكَ أَفْضَـلُ أَعْـمَالًا مِـنْ أَعْـمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَـةِ الحَقّ» (المصـدر نفسـه/ ص٦٤٦-٦٤٧). هكذا هـو الإنسـان، إن أهمـلَ نفسـه لحظـة واحـدة فسيسـأم ثوريّتَـه ويخـسر رؤيتـه الملحميـة. ومـا أجمـل تقديـر القـرآن الكريـم للذيـن لا يملّـون ولا يفقـدون رؤيتهـم الملحميـة حيث قـال تعـالى: «مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُـوا مَـا عَاهَـدُوا اللـهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُـم مَّن قَـضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُـم مَّن يَنتَظِـرُ» (الأحـزاب/ ٢٣)، فهؤلاء الرجـال هـم مـن استشـهدت فئـة منهـم والفئـة الأخـرى بقيـت عـلى العهـد تنتظـر الفـوز بالشـهادة.

لا يمكن تحليل الأمور وتقويمها بشكل صحيح دون النظرة الملحمية

لا تتصـوروا أن الأشـخاص الذيـن يمتلكـون رؤيـة ملحميـة وينظـرون إلى جميـع الأمـور مـن منظـار ثـوري، لا يشـعرون بالبهجـة والسرور! لا تظنّـوا أنهـم قسـاة، بـل إنهـم، بالمناسـبة، ألـيَن مـن الآخرين بكثـير، وإن أفراحهـم ومسراتهـم أيضـا تفـوق أفـراح الأشـخاص غـير الثوريـين! بـل بـأي شيء تريـد أن تبتهـج بهجـة حقيقيـة إن لم تكـن ثوريـا؟ الذيـن لا يمتلكـون رؤيـة ثوريـة لا حيـاة لهـم بالمعنـى الحقيقـي للكلمـة وليسـوا بأحيـاء! فكيـف لهـؤلاء يـا تـرى أن يقيّمـوا الأمـور دون رؤيـة وروح ثوريّتَـين؟ مـن دون النظـرة الثوريـة سـتخطئون في تحليلكـم السـياسي لأوضـاع المنطقـة، ومـن دون هـذه الرؤيـة سـتقعون في الخطـأ عنـد دراسـة الأوضـاع السياسـية في ايـران، وكـذا الحـال بالنسـبة لتحليـل الأوضـاع الثقافيـة، مثـلا بمجـرد مشـاهدتكم لعـدد قليـل مـن خفيفـات الحجـاب سـتقولون: لقـد انتهـى كل شيء! بينـما إن نظرتـم بنظـرة ثوريـة لقلتـم: إن الأوضـاع أفضـل بكثـير مـن ذي قبـل، رغم جميـع المشـاكل والصعـاب الموجودة.

مشكلتنا هي أننا عاجزون عن نقل جمال الرؤية الملحمية والثورية

إننـا عاجـزون عـن أن ننقـل جماليـات الرؤيـة الثوريـة إلى الآخريـن وهـذه مشـكلة عظيمـة! الشـهيد حُجَجـي زوّد النـاس جميعًـا برؤيـة ملحميـة دفعـة واحـدة؛ ففـي كلامـه مـع طفلـه الصغـير كان قـد بـثَّ للجميـع شـعورًا في منتهـى الجـمال والروعـة بحيـث أشـعل نـار الحـسرة في قلـوب الكثيريـن. لقـد أظهـرت حصيلـة الصـور الجويـة أن حـوالي مليـوني نسـمة في طهـران فقـط شـاركوا في تشـييع جثمانـه الطاهـر، ولم يكـن ليتحقـق هـذا الأمـر إلا بسـبب روعـة الرؤيـة الثوريـة والملحميـة! كانـت نظـرة الإمـام الخمينـي(ره) الثوريـة بحـرا مترامـي الأطـراف مهـما تحدثنـا عنـه لم يكـن كلامنـا شـيئًا. قـصَّ شـخص عـلى الإمـام(ره) أنـه في أيـام المظاهـرات ضـد نظـام الشـاه قبـل انتصـار الثـورة الإسـلامية «كانـت هنـاك سـيدة متقدمـة في السـن تقـف بجانـب الطريـق وفي يدهـا فكّـة نقـود. ظننـت في البـدء أنهـا فقـيرة، فاتجهـتُ صوبهـا لأعـرف خبرهـا، فقالـت لي: لسـتُ فقـيرة، بـل أحمـل بيـدي قِطَعًـا مـن فكّـة نقـود فئـة ريالـين كي لا يحتـار في أمـره مَـن يريـد إجـراء اتصـال هاتفـي مـن الثُـوّار!» لـدى سـماع هـذه القصـة لا غـير قـال سـماحة الإمـام(ره): إن هـذا دليـل عـلى التحـوّل الروحـي عنـد أفـراد الشـعب ومـؤشر عـلى نـصر اللـه وانتصـار الثـورة! (صحيفـة الإمـام/ ج٧/ ص٢٦٥) واليـوم وفي السـنوات الأخـيرة نشـاهد الكثيريـن في زيـارة الأربعـين يقفـون عـلى قارعـة الطريـق وفي حوزتهـم مئـات الآلاف مـن أطبـاق الطعـام لتقديمهـا للـزوّار! فاليـوم أيضًـا إن كانـت لدينـا رؤيـة الإمـام(ره) فسـندرك أنّ ثمـة خـبر مـا في الأفـق! كان الشـهيد آوينـي مـن أصحـاب الرؤيـة الثوريـة، وقد عـبّر عنه السـيد القائد(حفظـه الله) بتعبير «سـيد شـهداء أهـل القلـم». ومـن خـلال قـراءة مؤلفاتـه ومشـاهدة وثائقياتـه المعروفـة بـ»روايـة الفتـح» يتبيّن أن هـذا اللقـب يليـق بـه حقـا. بالطبـع هنـاك الكثـير ممـن يحمـل الرؤيـة نفسـها في وقتنا الحـاضر، لكن شـتان بـين مـن يمتلـك هـذه الرؤيـة اليـوم وبين مـن تميّـزتْ رؤيته في ذلـك الزمن بتلـك الدرجة مـن الدقة والصحة.لنسـأل اللـه سـبحانه أن يهبنـا النظـرة الثوريـة وأن يوفقنـا للاحتفاظ بهـا إلى نهايـة المطاف، ومن بعـد ذلـك أن يسـاعدنا لننقلها إلى الآخرين بشـكل جميل وصحيح، وهذا النقل الصحيح أيضا مهم للغاية. فبعـض الأشـخاص ممـن شـوّه النظـرة الثوريـة عنـد نقلهـا للآخريـن، تخـلّى هوعـن ثوريّتـه بعـد مُـدّة!



الاستراتيجية الأخرى لاكتساب الرؤية الصائبة هي مخالفة الهوى

الاستراتيجية الأخرى لاكتساب الرؤية الصحيحة هي عدم اتّباع الهوى (علمًا بأن الرؤية الصحيحة حتى زمن الظهور هي الرؤية الملحمية ذاتها). فما إن تَمِل ذرةً لهواك حتى تُفسِد نظرتك الثورية. في الحقيقة إن «الهوى» و«الله» على طرفَي نقيض. روي عن الإمام الباقر(ع): «إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعْنِيٌّ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ لِيَغْلِبَهَا عَلَى هَوَاها فَمَرَّةً يُقِيمُ أَوَدَهَا [اعوجاجها] وَيُخَالِفُ هَوَاهَا فِي مَحَبَّةِ اللهِ، وَمَرَّةً تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيَتَّبِعُ هَوَاهَا فَيَنْعَشُهُ اللهُ فَيَنْتَعِشُ [أي: يُنهِضه من سَقْطته] وَيُقِيلُ اللهُ عَثْرَتَهُ [أي: يتجاوز عن ذنبه وزلّته] فَيَتَذَكَّرُ وَيَفْزَعُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَخَافَةِ [أي: يلتفت إلى نفسه ويتوب بعد أن أنهضَه الله من سَقْطته] فَيَزْدَادُ [بعد أن تاب] بَصِيرَةً وَمَعْرِفَةً لِمَا زِيدَ فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ [أي إن بصيرة المؤمن ومعرفته ستزداد نتيجة الخوف الذي يصيب قلبه]» (تحف‌العقول/ ص٢٨٤). فلأنه ارتكب ذنبًا ينتابه الخوف وبالتالي تزداد بصيرته. ويسترسل الإمام الباقر(ع) موضحًا: «وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقُول: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون» (الأعراف/ ٢٠١)، أي إن الذين يعتصمون بالتقوى إذا مسّهم طائف من الشيطان وأثّر عليهم، فإنهم يتذكّرون الحق ويكتسبون رؤية ثاقبة بحيث يعبّر عنهم القرآن الكريم بهذا التعبير: «فإذا هم مبصرون».

ما هو الأمر الذي يُفسد رؤية الإنسان؟

ما الذي يُفسد رؤية الإنسان؟ روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا» فالأعمى لا يرى إلا الدنيا ولا يمتد بصره إلى أبعد من ذلك، «وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا» أما البصير فيدرك أن هناك، وراء هذه الدنيا، عالَم الآخرة أيضًا، «فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ» فصاحب النظرة الصائبة يهجر الدنيا «وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ» بينما الأعمى كلما ينظر إلى الدنيا يهرول إليها أكثر فأكثر «وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ» والبصير يتزود من الدنيا «وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّد» أما الأعمى فيتزوّد للدنيا! (نهج البلاغة/الخطبة ١٣٣).

الهوى وحب الدنيا يسلبان الإنسان البصيرة

هنـاك آيـات وروايـات عديـدة تشـير إلى أن الهـوى وحـب الدنيـا يسـلبان بصـيرة الإنسـان. فبحسـب بعـض الروايـات ينظـر اللـه إلى أعـماق قلـب الإنسـان لـيرى إن كان يهمّـه، ولـو مثقـال ذرة، مـاذا يقـول أهـل الدنيـا عنـه؟ فـإن كان كذلـك لا يحتفـي بـه اللـه وملائكتـه ولا يحسـبونه كثـيرا مـن ذوي الشـأن مـن النـاس! يتنـازل البعـض عـن روحـه الثوريـة ومواقفـه الملحميـة مـن أجـل نظـرة النـاس وحديثهـم، أو طمعـا بالوجاهـة بينهـم. تُعـد المصائـب الفاطميـة وحادثـة البـاب والحائـط مـن أعظـم مصائبنـا وأجلّهـا نوعًـا مـا، فقـد ذكـروا أن السـيدة فاطمـة الزهـراء(س) صرخـت صرخـة سـمعها قاطبـة أهـل المدينـة، لكنهـم لم يخرجـوا مـن بيتوهـم (لنصرتهـا)! لمـاذا؟ لأنهـا كانـت في بيـت عـلي بـن أبي طالـب(ع)! فـماذا كانـوا سـيصنعون بنظراتهـم إلى بعضهـم البعـض إن هبّـوا لنصرتهـا؟ أيقولـون لبعضهـم ذهبنـا لنـصرة عـلي بـن أبي طالـب(ع)؟! كان هـذا صعبـا عليهـم في تلـك الأجـواء. ولربمـا يخفـي صاحـب الزمان(عـج) نفسـه الشريفـة عنّـا في زماننـا مخافـة أن نسـمع أنـين وحشـتِه ولا نهـبّ لنصرتـه...